الكرسي

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

اسم العمل : الكرسي
اسم المؤلف: أحمد عبد الرسول
التدقيق اللغوي: بيت الفصحى
تصميم الغلاف: حسن العربي
الإخراج الداخلي: عمر أسامة
رقم الإيداع: ١٥٣٠٧ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٩٩٩-١٧-٤

شارع ونس - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية - مصر

01020439639

massar.pub1@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، ورقيًا أو إلكترونيًا، سواء بشكل كامل أو جزئي أو عرضه مجانًا عبر أي وسيلة وبأي شكل من الأشكال من دون الحصول على تصريح خطي من دار مسار للنشر.

الكرسي

أحمد عبد الرسول

مَسَار
للنشر و التوزيع

إهداء

إلى من قُدِّمت دمـــــاؤهم قُربـــــانًا إلى الكرســـــي اللعين.

افتتـــــاحيـــة

- عشية اكتشاف موت سليمان النبي:

الجميع يهابه، طوال فترة حياته لم يستطع أحدهم الاقتراب من كرسيه، وبرغم تأكد خبر موته إلا أن الأمر ليس بهذه السهولة، فإن تمكن منك الخوف؛ فلن تستطيع نقب ذلك الجبل الجليدي الذي يجمد مشاعرك، ويصيب أطرافك بالرعشة، ويجفف حلقك بمجرد التفكير في الأمر.

وقف أمام الكرسي، ضحية شعورين متضادين، الرغبة والرهبة، وقف يراقب بقلق، ينظر إلى الأبواب بتوتر، ينتظر في أي لحظة حدوث ما لا يُحمد عاقبته، ينتظر انفتاق السقف فوقه، ونزول سليمان النبي ليستقر على كرسيه من جديد.

لكن لا شيء مما سبق حدث، فشجع نفسه ألا داع للقلق، لقد مات ودُفن وهو الآن في عالم آخر، وبخطوات متزلزلة خطا، وبنظراتٍ قلقة تلفَّت، وبعدما أصبح على بعد خُطوة من الكرسي نسي الدنيا وما فيها، نسي من عليها ومن تحتها، من يسعى ومن يطير، وما يزحف، انخفض قليلاً حتى أصبح على ارتفاع مساوٍ لقاعدة

الكرسي، لم يتخيل اليوم الذي سيقف فيه عند هذا الحد القريب جداً من الكرسي الذي ظل محظورًا عليه الاقتراب منه طوال تلك السنوات.

مد يده وبدأ بالحفر، وسرعان ما وجد ضالته، أزال التراب عنه، وجده يلمع كما وُصِف لهم، أمسكه ورفعه متأملاً، وحدِّث نفسه قائلاً:

- يا للروعة! أهناك أجمل من هذا؟! لا أعتقد.

لم يصدق أنه يفعل كل ذلك، ظن أنه يحلم، أو هي أحلام يقظته التي راودته كثيراً والآن ها هي تتكرر، لكن لا مستحيل، إنه الواقع، حدِّث نفسه بفخرٍ قائلاً:

– أنا أمسك في يدي أحد أعظم الأشياء الموجودة، مرت سنين طوال ونحن نمني النفس بك، والآن أنت معنا.

***

يُحكى أن الحياة كانت عامرة على الأرض، وما كان المُعمَّر بشرًا، بل الجن، كانوا يعيشون في مجتمعات، منهم الصالح ومنهم الفاسد، ومنهم من هو خليط عجيب من الاثنين، القتلة والقضاة، الأغنياء والفقراء، كانوا يعيشون والعذاب يجلدهم ولكنه ليس عذابًا واقعًا من الله، بل هو عذاب فرضوه على أنفسهم! عذابهم الفساد، وما أقبح الفساد! يوهم الفسقة بالمتع، ويرهق العباد.

من ذا الذي يتجرأ على الاعتراض، فمثل الخيرين والأشرار كمثل النجوم في وضح النهار، لا تُرى، حتى ولو وجدت، فلا يدعون لهم فرصة لتقويم الأوضاع، فالفقراء سيظلون كما هم، حتى وإن انتهجوا أساليب النجاح، على عكس الأغنياء الذين لا يمسهم الفقر أبداً ولا يمس بقية نسلهم، فثمة مجموعة هم الطبقة الحاكمة، يورثون السلطة لمن هم من نسلهم، أما البقية فلا شيء لهم سوى الفقر والجهل، وما أشبه حالهم بحال من تبعهم من البشر!

القبضة الحديدية، هكذا كان الحكم، هكذا تعامل الحكام معهم، ناهيك عن كهنة السلطة، ومن يفصِّل الفتاوى على مقاس السلطة أياً كانت، الفقراء يدخلون الجنة فهنيئًا للفقراء فقرهم، ومن يأكلون من القُمامة ويشربون الماء العكر، فإن الله وعدهم الجنة يأكلون فيها ما لذ وطاب، ويشربون من أنهار من لبن وعسل، وإن من يعترض على ولي الأمر فجزاءه جهنم خالداً فيها، وإن الفقراء يملكون كنزاً لا

يقدر بمال، راحة البال التي لا يملكها الأغنياء، وكثيراً من الكلام الذي يجعلك تفقد كل شيء، أعصابك، عقلك، خصوبتك، لكن الفساد يؤدَّى على أكمل وجه من الجهتين؛ فجهة تجعلك فقيراً جاهلاً، وأخرى تقنعك بمصيرك المظلم على أنه طريقك إلى الجنة!

كان المظلومون يرفعون أيديهم بالدعاء، فلم يعد لهم طاقة على الاحتمال، فالجهل والفقر بلاء شديد، مر وعلقم، ولأصحاب العقول عذاب مهين، ولكن كان قسمين من الجن؛ من يعلم أن الله لا يهمل، ومن لديه شك رهيب، فأما من يعلم أن الله لا يهمل فهو بالتأكيد يعيش معذب ولكنه يعلم أن لكل شيء نهاية، وإن حقه لن يذهب مع الرياح كالرماد، ومن لديه شك فقصته قصة، فهو على باب الكفر واقف، ينقصه حركة واحدة ويدخل، فهناك من شك في وجود الله لأنه إذا كان موجودًا فلن يسمح بذلك الظلم، وهنا يقيسون العلم الإلهي بعلمهم السطحي، ويتخيلون الله مثلما يتخيلون أحدهم، يُنزل العذاب الفوري، يسعى إلى الانتقام، يزلزل الأرض بالعاصين، يطبق السماء لأن أحدهم تعدى الحدود، وهم بالتأكيد ضحايا الجهل بالله، فلو أن الله يعاملنا بهذه الطريقة لما كنا هنا الآن وما بقي عليها من أحد.

كان كل شيءٍ يتجه نحو الأسوأ، تساءل القوم ساخرين، متى وعد الله الذي كنتم تدعون؟! أرسلوا علينا العذاب بما كسبت أيدينا إن كنتم من الصادقين، ولكن العباد لم يكن في مقدورهم فعل شيء، فهم لا يملكون ضرًا، والفساد وصل إلى مرحلةٍ مرعبةٍ، لم يعد هناك متنفس للعباد، حتى يأسوا ومنهم من ظن أنهم لن يُعذبوا بما فعلوا، فهم في النعيم منذ سنين طوال، ونحن مهانين ومعذبين ليل نهار.

وقف بعض العباد على الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، فتن بعضهم،

وبعضهم كان متيقنًا، إلى أن جاءت لحظة العقاب، نزلت الملائكة إلى الأرض، وعاقبوا الكافرين عقابًا شديدًا، ولم يبقوا على الأرض من كافر، طهروا الأرض من الفساد، ولكن للفساد جذور في أعماق أعماق النفس.

طهر الجميع، كما أخذ أحد العباد وصعدت به الملائكة إلى السماء، كان يدعى إبليس، وكان من صالحين، وحينما صعد إلى السماء زاد من العبادة والزهد، كان لا يريد شيئًا سوى رضى الله عنه، حتى أصبح من المقربين، ونُزع منه الشر كما حدث مع الجن المتبقين على الأرض، وجمعت الشرور جميعها في حجر يدعى (حجر الشرور).

كان كائنًا مميزًا جدًا، فمن بين كل الملائكة المسيرين، كان هو المخير ذا الإرادة الحرة، كان عابدًا زاهدًا من المقربين، له سلطان، يأكل مما تشتهي نفسه، ويشرب مما يشاء، لكنه سمع في أحد الأيام خبرًا أصابه برجفةٍ داخليةٍ، وكانت تداعيات ذلك الخبر أكبر مما توقع، وكانت المصيبة وراء هذا الخبر عظيمة، فقد سمع أن الله سيخلق مخلوقًا جديداً، وسيكون له الإرادة الحرة نفسها، والتي كانت تميزه عن غيره من المخلوقات، أخذ الخوف يتملكه رويدًا رويدًا، مكانته أصبحت مهددة بمخلوقٍ جديد، وهنا بدأت نفسه تأمره بالسوء، بدأ يستسلم للرغبات، بدأ يحيد عن الطريق، بدأ الانهيار، لذلك فكَّر في أن يميز نفسه عن هذا الكائن الجديد، ودلته نفسه على الطريق الذي سيكون بواسطته أقوى من المخلوق الجديد، دلته نفسه على حجر الشرور.

***

لكن التحذير كان واضحاً "لا تقربوا الحجر"، ظل يفكر، نام يحلم، شرد ذهنه، أسرته الفكرة، ظل هذا الحجر في مكان في السماء، لا يقربه أحد، لعلمهم بعواقب

الاقتراب، لم يكن محاطًا بأسوار أو حراس أو أي شيء، الحجر فقط، سهل المنال لكن لم يجرؤ أحدهم في التفكير في الاقتراب منه، لأن التحذير من خطره كان واضحاً.

الأمور مستقرة، هكذا ظل الأمر فترة من الزمن، لا أحد يعصي، الجميع يخشى أن يتكرر ما حدث مع الجن معه، البطش شديد، والنعيم له تأثير فعال، أتترك النعيم والراحة وتعود إلى الشقاء والتعب؟! لا يعقل! وخاصة بعدما ترقى في مكانته، حتى وصل إلى مكانه لم يكن يحلم بها من قبل، وفي ظل عصره الذهبي هذا جاءت العاصفة التي اقتلعت كل ما زرعه من جذور، فقد رأى الحجر وهو في السماء، أسره الحجر وسيطر على تفكيره، فهو لم يرَ أجمل من هذا الشيء طوال حياته، لكن التحذير كان واضحاً "لا تقربوا الحجر"، وقد كان تحذيرًا عامًا، ولكن كان تحذيره تحديدًا ألا يقترب من حجر الشرور فيخسر كل شيء.

أمواج متلاطمة، عواصف رعدية، غليان الرغبة يأكل العقل، والنوم لا يأتي وإن أتى يحلم بالحجر، وما العمل؟ أيخسر كل شيء ويربح الحجر؟ أم يبقى في النعيم مُكرَّمًا؟ وما أشبه الجن بالبشر! فحينما يتعلق الأمر بالرغبة، يتحلل العقل ويصير تراباً.

أصبحت الرؤية ضبابية، وأصبح هو شريد الذهن، لم يعد كما كان، فهناك ما نغّص عليه حياته، ولكن ما سر الانجذاب لهذا الحجر، وما يميزه عن بقية الأحجار؟! فكر كثيراً ولم يرَ الإجابة، وهي التي تقف على أنفه، بحث عنها في كل مكان، أخذ يفكر ويبحث عن الإجابة، لكنه لم يتمكن من الوصول إليها، والإجابة في منتهى البساطة هي ترابطهما.

مثله مثلنا مع الغيبيات، وما حدث في الماضي، وكيف نشأنا وكيف تطورنا وما

مصيرنا، فالترابط بين شيئين يجعل العقل أسيرًا للتفكير، حتى لو لم يترابطا بشكل مادي.

ظل يفكر، نام يحلم، قام يُمَّني نفسه، لماذا التحذير من الاقتراب من الحجر؟!

-هكذا تساءلت نفسه- لاحظ الجميع تغيره، شرود ذهنه، تنبأ الجميع بأن القادم سيكون سيئًا، هناك خطبٌ ما أصابه، هناك شيءٌ ما يخطط له، ولكن من كان يتوقع أن ما يفكر به هو حجر الشرور!

التردد أخَّره، حتى ولو لم يمنعه، إذ جاء يوماً وقد نفد صبره، وقرر أن يذهب ليرى الحجر، لا لن يأخذه، سيكتفي فقط بلمسه، هكذا شجَّع نفسه على الإقدام، وصل إلى مقصده، ورأى ما أرَّقه، لمعت في عينيه الرغبة، ارتبك قلبه بالخوف، ظل

يتلفَّت حوله، لكن المكان كان خاليًا، اقترب من الحجر، فتذكر الأيام الخوالي، اقترب أكثر، فنسي نفسه وتاه، وقف أمامه وشغفه حبا، عن قرب أجمل وأروع، شعر بأن هناك قوة عجيبة تجذبه نحوه، وشعر بقوته تزداد بمجرد اقترابه منه، تذكر المخلوق الجديد، فامتلأ قلبه بالحقد، وكان هذا الحقد هو محرك الشجاعة القبيحة.

مسَّ الحجر؛ فتدفق الشر من جديد إلى قلبه، كتدفق الماء في الأرض المُشققَة، تشبَّع قلبه بالشر، ولم يدرِ بنفسه إلا واضعًا الحجر في جيبه وظـــن أن لم يره أحد!

أخذ الحجر، وفقد كثيرًا مما كان داخله، فبعدما كان الزاهد العابد، الذي لا يريد شيئًا سوى رضا الله، الآن أصبح العاصي الذي لم يمتثل لأوامر الله.

تغلغل الشر في قلبه، وشعر بقوة رهيبة، عادت قوة الشر من جديد، بل أصبح هو الشر المطلق، وكلما زاد تعلقه بالحجر زادت قوته، أو هكذا شعر.

الجميع لاحظ تغيره، ليس هذا الذي كان! إذ تهادى في أحد الأيام إلى سمعه

الحديث عن المخلوق الجديد، الذي سيُستخلف في الأرض، وهنا تساءل والحقد يملأ قلبه، لماذا لا أكون أنا الخليفة؟! أنا أحق منه، ما الذي يميزه عنى؟!

وبدأ الحجر يتملك قلبه، إلى أن أحل الحجر محل القلب.

صُنع المخلوق الجديد، وما أتعسها لحظة! نظر نظرة من بعيد، وهو يمنع نفسه عن البكاء، لماذا يحدث كل هذا، أأخطأ في شيء ما ؟ أم لم يكن قلبه سليماً بما يكفي؟ فأرجع البصر إلى المخلوق الجديد الممدد على ظهره، تلك كتلة الطين العجيبة، بهتت الدنيا حوله، ركَّز النظر إليه، وبدأ يفكر في المستقبل، حينما يُستخلف ذلك المخلوق في الأرض، من النظرة الأولى تشابه هذا المخلوق مع كثير من الحيوانات التي كانت على الأرض، تشابه مع كثير من القردة، بل من النظرة الأولى تحسبه فصيلة جديدة منهم، أصابه الهم، ملأ الغيظ قلبه، وثقل صدره كمداً، ونام يفكر في كيفية القضاء على هذا المخلوق قبل فوات الأوان.

تلك الليلة الحزينة، التي لم يذق فيها طعم النوم السعيد، بل بالأحرى لم ينم إلا غفوات يرى فيها من الأحلام السيئة ما يجعله يستيقظ فزعاً، لذلك قرر الذهاب إلى المخلوق الجديد وأن يراه عن قرب، ذهب إليه، وقف أمامه، شعر برعب، ارتعشت أطرافه، فقرر أن يتمسك بالحجر ليستمد منه بعض القوة والشجاعة، اقترب أكثر فزاد رعبه، فنظر إلى الحجر وتساءل ألا يعمل؟! نظر إليه ثانية، وتخيل أن ذلك الوجه الطيني، سيرث تلك الجنات والأراضي الشاسعة، وسيكون له ملك الأرض.

قرر أن يلمسه، لعله يفهم ما يميزه، وبتردد واضح، وبأيدٍ مرتعشة تلامسا لأول مرة، وهنا تنافرا تنافرًا شديدًا، وشعر إبليس برعبٍ من هذا المخلوق، كما شعر بأن قوته تفنى، وأنه سيموت ضعفاً، لذلك هربً بعيداً عنه، لم يحتمل ما

حدث، ومنذ تلك الليلة علم أن القادم أسوأ، لكن لم يخطر بباله أن أسوأ ما تخيل كان ألطف ما يمكن حدوثه، إذ جاءت اللحظة الحاسمة، ونُفخت الروح في ذلك المخلوق، وطُلب من الجميع السجود له.

***

سجد الجميع، ولم يشعر بنفسه إلا واقفاً كما كان، ترددت نفسه بين الطاعة والمعصية، كانت هناك حرب طاحنة بين شقين داخله، شق يريد الطاعة والسجود، وشق يريد التكبر والعصيان، وإنما هي حرب في الواقع لا تتعدى ثوانٍ معدودة، إلا إنها داخلياً قد تأخذ سنينًا طوال.

لكن الشق العاصي كان متسلحًا بالحجر، وبالتالي مالت كفته عن كفة الشق الأول المطيع؛ فلم يسجد. سُئل عن سبب امتناعه، ولم يكن سؤال عن عدم علم، بل كان سؤالاً من لدن عليم خبير، وهنا لم تكن الحرب قد انتهت بعد فقد كان الشق المطيع يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويحذره من عواقب وخيمة، شعر بأنه أفسد كل شيء ويجب أن يسجد، لكن سرعان ما قتل العاصي المطيع وانتهى كل شيء، وأوهمه أنه قوي بالحجر وأن لن يقدر عليه أحد، ساقه التكبر، ورسي به في ظلمات الجهل، فقال: "لن أسجد لمن هو أدنى مني، فأنا مخلوق من نار وهو من طين" وحسب أن الحجر حاميه.

تعجب الجمع مما يحدث، أحقاً ما يرون ؟! أيعقل أن يعصي أحد ربه ؟!

ومن ذا الذي سيكون له إن لم تشمله رحمة الله ؟! لكن الكائن الجديد الذي يدعى (آدم) لم يكن من المتعجبين، فهو لم يتعلم شيئًا إلى الآن، وهو كطفل حديث الولادة، سيأخذ الكثير من الوقت ليتعلم.

لُعن إبليس، وخرج من رحمة الله، وسيصلى جحيماً، لكنه طلب من الله مهلة إلى حين يبعثون، وأقسم إنه سيضلهم عن طريق الحق، وسينتقم من آدم وبنيه لأنهم سبب خروجه من رحمة الله ولعنه.

فمن أول ما تعلم آدم أن إبليس عَدو له، فيجب عليه الحذر منه، كانت كل هذه الأحداث على الأرض، وكان آدم وزوجه يعيشون حياة سعيدة في جنة كثيرة الزرع والثمر، وكان من المفترض أن يمكث فيها حياته، و الله لم يجعله يهيم في الصحراء بحثاً عن الطعام، ولم يجعله يشقى ليحصل على الماء، فكل هذا متوفر في مسكنه، لكن الله حذره من شجرة يجب عليه الابتعاد عنها، وهنا أصاب آدم ما أصاب إبليس مع الحجر من قبل، فالممنوع مرغوب، وكما هي فطرتنا لا نحب الغموض.

كان هناك ما يؤرِّق آدم، كان يخشى أن تزول تلك الجنة، وتجف تلك الأنهار، كان هناك شعورٌ دائمٌ بالقلق من زوال ذلك النعيم، وإبليس في المقابل يراقبه عن كثب، يدرسه كمن يتأهب لامتحان، فآدم كان تحديًا لإبليس، فبعد أن طرد من رحمةً الله أصبح محطماً، قلبه ممتلئ بالغضب والغيظ، ومن سيصب عليه ذلك الغيظ إلا آدم!

راقبه وفهم مواضع ضعف شخصيته، وكان الباب الواسع الذي دخل منه هو الطمع، تلك الفطرة التي خُلق الإنسان بها، تلك الخاصية التي جعلت الإنسان يترقى، ويتطور، ويتعلم، ويبحث، لكن لها آثار جانبية فقد جعلت الإنسان يسرق، ويقتل، ويُشرِّد، وينهب، وفي البداية طردته من النعيم إلى الشقاء.

إذ جاء إبليس إلى آدم، وتظاهر بأنه نسي ما حدث وأنه فتح صفحة جديدة ويطمح في أن يسامحه الله على ما فعل، وأكد أن ما حدث لم يكن كرهًا لآدم، بل أن نفسه الأمارة بالسوء هي من حرَّضته، وما كان لآدم أن يفهم تلك الخدعة، فهو لم

يتعلم الكثير بعد، لم يقابل مثل هذه المواقف، ولم يتسلح بخبرة التجربة.

تحدثا كثيراً، وأوهمه إبليس بأنه صديق، وليس عدوًا كما قيل، بل إنه هنا اليوم ليدله على شيء عظيم، سر من الأسرار التي سيبقى طوال حياته شاكراً له أن دله عليه، وهنا أدخل إبليس المفتاح في باب الطمع لدى آدم، فأصغى إليه آدم باهتمامٍ واضحٍ، فقال له:

– إن هذا النعيم ربما يزول، لأن لكل شيء نهاية، وأنا أعلم أنك لا تحب أن يحدث شيء كهذا لجنتك الجميلة هذه.

هنا بدأ إبليس بإدارة المفتاح، وبدأت الأقفال تصدر طقطقتها المحببة دليل على الاستجابة، أتبع قائلاً:

– لذلك ولتعلم حسن نيتي فأنا هنا اليوم لأدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت في هذا النعيم، ولن تشقى أبداً.

فتساءل آدم عن هذه الشجرة التي يذكرها، فأشار إليها أن ها هي، فبدى التردد على آدم، وقال:

– إن الله حذرني من الاقتراب من هذه الشجرة.

فتسأل إبليس متظاهراً بالتعجب والمفاجأة عن السبب، ولكن آدم لم يفكر أبداً في سبب المنع، لذلك كانت حجته غير مقنعة، وكان هذا الباب الثاني الذي دخل منه إبليس إلى آدم، العقل، فهو سلاح ذو حدين، يجب أن يقتنع الإنسان بالسبب حتى يكون حجته ويتحصن بها، فتحدث إبليس ولم يدع فرصة لآدم للتفكير، فالتفكير عَدو لإبليس.

عزف على براءة الفطرة ونقائها، فأقسم له إنه لمن الناصحين، وانفتحت

الأبواب على مصرعيها، فبراءة آدم تخيل أنه لا يوجد مخلوق يقسم بالله كذبًا، فسار خلفه بحثاً عن الملك والخلود، حتى وصلوا إلى الشجرة المحرمة، شجرة الإغواء، فحثه على الأكل، وكان التردد يسيطر على آدم، فهي خُطوة لم يتخيل نفسه فاعلها، وفي الوقت نفسه كان إبليس يتحدث عن النعيم وعن الملك العظيم، وعن كل ما هو جميل، كان يضع لآدم السم في العسل، فتناول آدم الثمرة هو وزوجته حواء وأكلا.

فبدت لهما سوءاتهما، واختفى إبليس منتشيًا بانتصاره، عَلِمَ آدم أنه خُدع، وإنه مقبل على شقاءٍ، وليس كما أوهمه إبليس أنه مقبل على خلودٍ في النعيم وملكٍ عظيم، ترك الثمرة التي أكل منها وأخذ يغطي نفسه بأوراق الشجر، كان يشعر بالخزي والندم، وكذلك عاقبه الله بأن أخرجه من تلك الجنة، وجعله يهيم في الأرض القاحلة يُعَمِّرها، ويشقى ليحصل على طعامه وشرابه، لكنه تاب عليه لعلمه بضعف شخصيته أمام الإغواء.

كان آدم فتنة لإبليس، وإبليس كان فتنة لآدم، ومنذ ذلك الحين بدأ الصراع، آدم وبنيه متسلحين بالتجربة، وإبليس وبنيه متسلحين بحجر الشرور.

***

تعاقبت العقود، والشر مقيمٌ بين البشر قتل، سرقة، ظلم، أشنع الجرائم تمت تحت تأثير قوة تلك اللعنة الأبدية، لعنة حجر الشرور.

لم يتعلم البشر من الماضي، وعلى العكس كان إبليس وبنيه أكثر تعلمًا، ظلت هذه الفترة التي يسمونها الحقبة الذهبية آلاف السنين، إلى أن جاءت فترة من أشد الفترات عليهم صعوبة، وأكثرها فقدانًا للأمل، رسول له سلطان عليهم.

اليوم يمر كسنين، شعروا وكأن الزمن يتمدد فلا يمر ولا ينتهي، شعروا وكأن العذاب لن ينتهي، أو أنهم سيمكثون هكذا إلى ما لا نهاية، كان لسليمان النبي سلطان على الجن، كانوا مسخرين لطاعته، كما كان يعلم بأمر ذلك الحجر، وأول ما فعل أنه أخذه من إبليس، وبذلك فقد تجردت الشياطين من قوتهم الكبيرة، وأصبحوا كمن فقد يداه في قلب المعركة.

فكر عن المكان الذي سيضع فيه ذلك الحجر، كان يريد مكانًا آمنًا، ولم يجد سوى أسفل كرسيه، لأنهم لن يستطيعوا الاقتراب من الكرسي، لذلك قام بالحفر تحت الكرسي ووضع الحجر، وبعدها أصبحوا أذلة، كانوا يعملون ولا يقدرون على الاعتراض، فقد سلبت منهم قوتهم التي كانوا بها مفتخرين.

مات آدم، وظل إبليس معمرًا كما هو، وظلت الذكريات لا تنقطع من خياله، ذكريات عصيانه لربه، وإغواءه لآدم، وتذكر تلك الشجرة المحرمة، كان هو الوحيد الذي يعلم مكانها على الأرض، حُفر في ذاكرته ذلك المكان بعناية خاصة، فإنه في أحد الأيام سيحتاجها في عملٍ مدنسٍ جديدٍ.

ووسط تلك الفترة، حيث العذاب الذي لا ينتهي، كان لا بد من وجود ما يمنون النفس به حتى يقدروا على العيش، كان لا بد من وجود قُبلة حياة تنقذهم من الموت المحقق، وكانت هذه القُبلة موجودة، وكانوا يتناقلونها من شيطان لآخر، كانت نبوءة غريبة.

تلاها عليهم إبليس، الذي قال إنه حينما كان في السماء من المقربين، اطلع على جملة في اللوح المحفوظ، قال إنها كانت تعني إنه سيأتي زمن على البشر يكثر بينهم الفساد، سيطلب ملك ذو سلطان صناعة كرسي جديد له، وسيستعين أحد الإنس بأحد الجن في صناعة هذا الكرسي، طمعاً منه في المال، وسيُصنع هذا الكرسي من

الشر الخالص، وسيقدم إلى الملك الذي سيكون أمام اختيارين، إما الموافقة أو الرفض، وفي كلا الاختيارين نتائج متضادة.

تلك كانت النبوءة التي زعمها إبليس، وتوارثونها من بعده، كانت بمنزلة القشة التي تنجيهم من الغرق، في ظل تلك الفترة الصعبة، كانوا يذكِّرون بها بعضهم بعضا ويستقوون بها، حتى يتمسكوا بأي أمل.

كانوا يعملون على تجهيز كل شيء لتلك النبوءة، كانوا يسعون جاهدين، فيأتون صغار الإنس، يوسوسون لهم، يزرعون داخلهم الشر، كانوا يؤهلونهم لتلك المهمة المدنسة، وبالفعل كثر عدد شياطين الإنس، لكن خيبة الأمل كانت تضربهم باستمرار، فالسنين تمر ولا جديد، وشياطين الإنس يموتون ولا نبوءة، والملوك العظام تتحلل وتصير ترابًا، ولا أحد يطلب ذلك الكرسي، سيطر عليهم اليأس وشككوا في النبوءة، وظنوا ألا مكان للشر بعد اليوم، إلى أن جاءهم الخلاص.

موت سليمان النبي، كان هذا هو باب الأمل الذي فتح على مصرعيه، لكنه ظل فترة من الزمن ميتًا وهم في العذاب مهانين، لم يكتشفوا موته إلا بعد أن خر واقعاً بعدما أكل النمل عصاه التي يتوكأ عليها، لكنهم حتى وبعدما تأكدوا من موته لم يستطيعوا نقب ذلك الجبل الجليدي الذي يدعى الخوف.

فاجتمعوا يتناقشون عن مصير أهم شيء فقدونه، حجر الشرور، وعن الطريقة التي سيستعيدونه بها، وعن مصيره بعد ذلك، فانتهوا إلى أن يبعثوا أحدهم إلى مكان الحجر الذي خبئ فيه، ويقوم باستعادته.

ولكن لم يكن من السهل أبداً إتمام مهمة مثل تلك ببساطة، فدخول المحظور لم يكن سهلاً، لم يتخيلوا أنهم في يوم من الأيام سيدخلون غرفة سليمان النبي، ويقتربون من كرسيه، بل ويحفرون تحته ليخرجوا الحجر، ولكن بعد تعبٍ كبيرٍ

وجهدٍ نفسيٍ عسير تمت المهمة، ورجع الحجر إلى إبليس.

وكما حدث قبل ذلك فقد تعلم من أخطاءه، وبعد الكثير من التفكير، قرر ألا يكون الحجر قطعة واحدة، حتى يصعب بعد ذلك على أي ملك يأتي عليهم بسلطان استعادته، فقرر أن يقوم بتقسيم الحجر إلى اثنتى عشرة قطعة، لكل قطعة شرٌ مستقل وصفة ذميمة، ووزع تلك القطع على أكثر البقاع ظلمةً وشرًا في الوجود، فالداخل فيها مفقود، أرذل أماكن العالم السفلى، مدن لا يدخلها أحد طواعية، ولا يخرج منها مختاراً، مدن الخطايا.

***

بعد عقود من اليأس، وبعد موت الكثير من شياطين الإنس والجن، وبعدما ظنوا أنها محض خرافات وأن إبليس خدعهم وسقاهم الوهم هم وآباءهم، تحققت النبوءة، وطلب أحد الملوك العظام كرسيًا جديدًا له.

لم يصدقوا أن الفرج جاء، وأنهم على بعد خطوة واحدة من تحقيق ما أفنوا فيه أجيال وأجيال، كرسي سيضعون فيه الأحجار الاثنا عشر التي تمثل الشر المطلق، وسيكون هذا الكرسي لعنة على بنى آدم.

أما بالنسبة إلى مهمة جمع الأحجار فكانت مهمة شاقة، وليس لأى أحد طاقة لاستكمالها على أكمل وجه، لذلك كان عليهم اختيار أحد أكثر الشياطين شرًا وبغضًا، لذلك تم إسناد هذه المهمة إلى (أسموديوس)، فتعجب الكثير منهم، لأنه من أمراء العالم السفلي، ومن المعروف لديهم أن الأمراء لا يقومون بمهمات، لكنهم تذكروا أنها مدن الخطايا، فسرت قشعريرة خفيفة، وصورت لهم العقول ما يمكن حدوثه إن ذهب أحد غير أسموديوس، لذلك اقتنعوا بما آل إليه الاختيار.

ولم يسلم أسموديوس هو الآخر من الخوف، إذ فكر فيما هو مقدم عليه، فهذه مهمة ثقيلة حتى على شيطان مريد مثله، لكن الغاية تمحي الشقاء، رتب أموره، وبدأ رحلته المدنسة لجمع الأحجار.

ما أعجب هذه الحياة! وما أعقدها! وما أضحل الإنسان وما أعماه! يبحث عن الحياة في الكواكب والمجرات وما هي إلا محيطة به من كل اتجاه، لكنها عوالم لها طرقات ولها أبوابها، ولها شروط كثيرة لدخولها، فسلك الطرق واتبع الأسباب، وبدأ في أول مدن الخطايا، مدينة الغضب.

مدن الخطايا

مدينة الغضب

هل لكل مكان زمان؟ لا، ليس شرطًا فهناك الكثير من الأماكن التي لا تملك زمنًا، لكن لن نتحدث عنها بالتفاصيل في الوقت الحالي، فلكل حديث وقت.

عوالم غريبة تحيط بالإنسان الذي يحسب أنه وحيدًا على هذا الكوكب، وهو كوكب يعج بالحيوات الغريبة، والعوالم المخفية، ولكن تبقى طريقة الوصول إلى هذه العوالم ما يجهله الإنسان، فلكل عالم طريقة وأسباب يجب اتباعها، مثلاً السرعة والشكل، والتكوين المادي، كل هذه الأمور يجب أن توضع في الحسبان. والتَّشكُّل بالنسبة إلى الشيطان لم يكن بالأمر الصعب، فتشكَّل واتَّبع الأسباب، فوجد نفسه أمام بوابة، تلك البوابة هي التي ستدخله إلى (البعد) الذي يريد أن يذهب إليه، بوابة عجيبة تنقلك عبر الأبعاد، فدخل وإذ به يقف أمام مبتغاه.

مدينة الغضب، بجدرانها ذات اللهب، بأشجارها التي تنزف دماً، ببراكينها الثائرة، بدخانها الحاجب للرؤية، تشعر وكأن للجدران عروقًا نافرة، وكأنها ستنفجر من قوة تدفق الحُمَم، وكلما سار أكثر في المدينة وجد قتيلًا عند طرف أو وسط الطريق، وعلى جسده آثار تعارك شديدٍ، وبالتأكيد لم يسلم الطرف الآخر، ولكنه لحسن حظه نجا، وعلى أرض هذه المدينة الكثير من الدماء المتجلطة، مما يقبض القلب أكثر فأكثر، كل هذه العوامل حتمًا أدت إلى اختناقه وبدأ يغضب.

سار على ضلالٍ يسأل عما يريد فدلونه على قصرٍ أعلى فوهة بركانٍ غاضب، الأرض من تحته تتزلزل، الحرارة حارقة، لكن هلً يضر الماء ماء؟! هذه النار أضعف من أن تؤثر فيه.

السماء ذات لهب، وأرض المدينة متصدعة، وهو يسير على هدى، ويعلم مقصده، لكن أشباح الغضب تتراقص أمامه، وصبره على النفاد وشيك.

وصل إلى مقصده حيث القصر القابع بين فوهات براكين لا تهدأ، بابه من الحمم، لا يقترب منه أحد إلا من له ملكة التحكم بالنار، ومن غير شيطان له هذه الملكة، لذلك دخل، وجاءه الصوت الجهور الغاضب يسأله:

– من أنت؟!

فقال له:

– أنا قادم من أجل النبوءة.

فتفحصه بنظرات غير واثقة، فقد مرت مئات السنين وهم يتحدثون عن نبوءة لا تتحقق، حتى ظنوا أنها محض خرافات ليحافظوا على الأحجار، فلما أحسَّ منه الشك تابع قائلاً:

– نحن بصدد صناعة شيء لا يماثل شره شيء (الكرسي)، ونحتاج إلى الحجر الذي تملك لإتمام المهمة على أكمل وجه.

كان للملك وجه مستدير، أحمر اللون من شدة الغضب، تشعر أن عيناه ستُقتلعان من مقلتيهما، والشعيرات الدموية المتفرعة في بياض العين، الأوردة المنتفخة من الرقبة، ووريد الجبهة ويسير حتى بداية الأنف، كل هذه العلامات دلت على مزاج لا يُحمد، لكنه يصدق النبوءة، وهي التي جعلته يحتفظ بالحجر كل هذه السنين، وبعد تفكير طويل قام من مجلسه، ذهب إلى خزانته النارية، التي تسبح على الحمم، فتحها فإذا بفحيح النار يخرج، وكأنها تتحدث، استمع إلي الفحيح ومن ثم نظر نحو أسموديوس، ثم أخذ شيئًا من الخزانة وعاد إليه، جلس ومد قبضة يده

وفتحها كاشفًا عن سر الدنس، القوة العظمى للغضب (حجر الغضب).

مدينة الكذب

خرج سعيداً من مدينة الغضب، فقد أتم أول المهام، بقي له أحد عشر حجرًا آخر، مهمة شاقة لكن البداية أعطته دفعة قوية جعلته يتفاءل.

هو في بُعد المدن، لذلك لم يتشكل مرة أخرى، هو فقط دخل ذلك الباب الذي في نهاية مدينة الغضب، وخرج منه على الوجهة التالية له حيث مدينة الكذب.

وقف أمام أسوارها وبابها العتيق، على الباب سأله الحراس عن وجهته وعن السبب الذي أتى به إلى هنا، فتلى عليهم ما أحضره، فدلوه على مقصده:

– سر في الاتجاه الأيمن، وعلى بعد عشر أمتار ستجد بركة ماء عذب نقي، إن أردت الشراب منه فاشرب ولا تخف، وبعد هذه البركة ستنظر إلى الغرب ستجد قصر الملك هناك.

سار على الوصف حتى وصل إلى بركة الماء، وكان بالفعل ظمآن فمد يده ليشرب من ذلك الماء البارد، فإذ به يفزع ويبتعد عن تلك البركة حيث تبين له أن الماءَ نارٌ تغلي! وتراءت له الحقيقة، إنها بركة من نار وليست من ماء! وحتى القصر الذي رآه على الجهة الغربية اختفى ولم يعد له أثرٌ! فتذكر أنه في مدينة الكذب.

هام في المدينة سعياً، وكلما ذهب من طريق تبين له أنه يسير عكس الاتجاه المراد! فاليمين يسار، والشمال جنوب، والأسفل أعلى! كانت هذه المدينة أقرب لمتاهة منها إلى مدينة.

فيأس وقرر طلب المساعدة من أحد المارة، فتظاهر بعدم المعرفة، وآخرين أجزموا أن هذه المدينة مدينة الفساد وليست مدينة الكذب، ومنهم من أخذ يشرح

له كيف أرهقهم فسادها، وإنهم لم يعد لهم طاقة للاحتمال، فأدرك أنه أخطأ حينما فكر في ذلك الحل، وقرر أن يعتمد على نفسه.

سار وبحث، يأس وقنط، إلى أن وجد نفسه أمام القصر! يبدو أنه كان يدور حوله وهو من الجاهلين، لكن يبدو أن القصر غير مأهول، وما أكد له هذا أن أحد السيارة قال له: "إن هذا القصر هُجر من سنين"، فصدق ونسي، ثم أدبر راجعاً، واليأس يضربه، لكنه صعق متذكراً، إن الكذب هنا كالماء في النهر، فعاد إلى القصر، وطرق الباب فلم يجبه أحد، فقرر أن يدخل من دون إذن، ولكن في الداخل كان كل شيء يوحي بالهجران البعيد، جال بنظره والشك يتسحب إلى قلبه، حتى هم بالرجوع.

فجاءه صوتٌ من خلفه يسأله عن مراده، فسمَّى نفسه وذكر ما أحضره، فتغير الصوت فجأة وقال: "لا أحجار هنا"، فاستذكر أنه في مدينة الكذب، فطلب من الصوت أن يُظهر نفسه، فظهرت أمامه امرأة تبدو أنها الملكة، فأخبرها بمعرفته بالحجر وأن الحجر هنا، وإنه رسول من إبليس، وإن النبوءة تحققت وهم بصدد صناعة الكرسي، فتغيرت هيئتها وصارت رجلاً! ولما تبين من أسموديوس أنه يقول الحقيقة غاب الملك، وبعد فترة عاد وفي قبضته شيئًا أعطاه له، بالطبع كان هذا الشيء (حجر الكذب).

مدينة الكسل

بعدما انتهى من مدينة الكذب، قرر الذهاب إلى إحدى أكثر المدن صعوبة، كانت هذه المهمة ما يخشاها لأن عواقبها وخيمة، فهو إذا استسلم لأى شعور في أي مدينة من مدن الخطايا سيُحبس فيها طوال حياته، وهذا ما كان يخيفه من المدينة التي هو مقبل عليها، فمن منا لا يحب الراحة؟! ومن منا لم يصبه ذلك الداء اللعين؟!

وقف أمام أسوارها الإسفنجية المريحة، تحسسها فتخيل نفسه مستلقياً عليها، يتقلب ذات اليمين وذات الشمال، لا التزامات ولا شيء في الحياة يشغله، فقط الراحة، تلك هي مدينة الكسل.

دخل البوابة التي كانت مفتوحة على مصرعيها، لم يمنعه أحد، ولم يسأله أحد عن مراده، فالكل نيام، ومن كان مستيقظًا فلم يستطع القيام، فدخل تلك البقعة

المريحة، ذات الوسائد القطنية، والأرصفة الإسفنجية، والإضاءة الخافتة التي تُسقطك في دوامة النوم إجباراً أو اختياراً، والموسيقى الهادئة التي لا تتبين مصدرها، كل هذه الأمور تُحتِّم عليك النوم الهادئ، بدأ يغلبه الكسل، وكان على وشك النوم على أحد الوسائد، ولكنه تمالك نفسه وتذكر ما هو قادم من أجله، ولكن نفحة هواء بارد ضربته فأفقدته الصواب، وكادت تحسم المعركة لصالح الكسل، لولا أنه كسر قيود الكسل وقرر المضي قدماً لأنه إن استسلم للنوم سيخلد في تلك المدينة، وسيصيبه ما أصاب أهلها، سيترهل جسده ويزيد وزنه بصورة مفرطة، ولن يقدر على الحركة.

لم يجد أحد المارة ليسأله عن وجهته، لذلك اعتمد على نفسه، وبحث في كل المدينة عن أكثر الأماكن راحة، إلى أن وجد قصرًا قطنيًا، ينبعث منه ضوءٌ خفيفًا، لا يوجد فيه مقبض أو أي شيء حديدي، حتى لا يطرق أحدهم الباب فيزعج النائم في الداخل، دخل القصر، الحرير في كل مكان، والهدوء يسيطر على المكان، كما أن احتكاك القدم مع السجاد المريح يجعلك تكاد تخر على الأرض من فرط الراحة.

بحث عن الملك إلى أن وجده، كان ينام على سرير ويأكل، وكانت ملابسه مليئة بفتات الطعام، كان سمينًا حتى إنه من الوهلة الأولى قد تشعر أنه والسرير جزءًا واحدًا، أخبره إنه هنا من أجل النبوءة، وإنه يريد الحجر، وبعد تفحص كبير دام دقائق كثيرة قال الملك له: "سأقوم ولكن ليس الآن"، فمن الأفضل أن يمر في وقت لاحق لأنه سينام الآن، فقال له: "لا يمكن فالوقت يضيع، ويجب الإسراع في الأمر، تلك الفرصة التي انتظرها ملوك العالم السفلي مئات السنين"، وكان رد الملك أنه شديد الإرهاق اليوم ولن يقدر، وبعد الكثير من المحاولات قام الملك من مرقده، ليكشف عن سواد كبير مكان رأسه وجسده على السرير، مما يدل على أنه لم يقم منذ فترة كبيرة جداً، مشي بطريقة متكاسلة، أخذ الكثير من الوقت، وعاد وفي قبضته (حجر الكسل).

مدينة اليأس

اليأس، كثيراً ما تسبب ذلك الشعور في الفشل، حتى إن الشخص يكون أقرب إلى النجاح، لكن يأتي ذلك الشعور ليوهمه ألا فائدة، وعليه الاستسلام الآن، صفة إن سار وراءها الناجحون ما نجحوا، وإن لم يستسلم لها الناس ما وصلوا إلى تلك الحالة المزرية.

من بعيد شعر أنه مقدم على شيء خرب، ليس به حياة، أثار الدمار بادية من ذلك البعد الكبير، ظل يمشي حتى وصل إلى أسوارها، أو ما بُني من أسوارها.

مدينة اليأس، هواؤها بارد شديد الرطوبة، والضباب يجعل الرؤية مقصورة على بضعة أمتارٍ قليلةٍ، كانت الأسوار غير مكتملة البناء، ومنها ما كان مهدم ولم يتم ترميمه، فلاً فائدة من الترميم فسيتم هدمها مرة أخرى عاجلاً أم آجلاً، أما عن المرتفعات التي لا يُرى قممها فقد أضفت على المدينة شيئًا من الرعب والرهبة، واجتاحه شعور بالرغبة في الهروب من تلك المدينة قبل فوات الأوان، لكنه تدارك ذلك الشعور وعلم أنه تأثير مدينة اليأس عليه، فاستعاد السيطرة على زمام ومضى في طريقه.

البيوت في تلك المدينة لم تكتمل، حتى الطريق الذي كان يسير عليه كان نصفه مُعدًا والنصف الآخر غير معد، لم يكن هناك مصابيح تضيئ تلك المدينة، فقط ضوء كوكب رمادي شاحب الذي أضفى على المدينة طابعًا مرعبًا يجعلك تفر يائساً.

لاحظ أثناء سيره أن المدينة كلها متفقة على لون طلاء واحد، الأزرق القاتم،

مما ذكَّره بشيء يخافه منذ الصغر، مياه المحيط الزرقاء القاتمة، التي لا تتبين عمقها، وتشعر وكأن هنالك وحوش قابعة تحتها، تنتظر نزولك حتى تفتك بك بأسنانها التي يصل حجم السن فيها حجمك وأكبر، والحراشف التي تغطي جسمها، وأصواتها التي أشبه بالصراخ، كل تلك الأمور قبضت قلبه، وتركته وحيداً مع التخيلات.

وصل إلى القصر الذي اكتمل بناؤه، لكن كان نصفه فقط مطليًا ونصفه الآخر لم يُطلى، لم يكن للقصر باب، دخل وأثناء تفحصه وجد أثر دماء على الأرض، فأثار ذلك في رأسه تخيلات مرعبة، فتتبع الدماء بذعر، خوفاً من أن يكون اليأس سيطر على الملك وقرر الانتحار، وإن حدث ذلك فإن الحجر قد فُقد إلى الأبد، لأنه لا أحد يعلم مكانه سوى الملك، لأن إبليس أخذ عهدًا على الملوك أن يخبئوا الأحجار ولا يعلم مكانها غيرهم، حتى إبليس لم يكن على علم بالأماكن، كانوا شديدي الخوف من تكرار تجربة سليمان النبي. تتبع قطرات الدماء فقادته إلى غرفة، ومن الغرفة ساقته القطرات إلى الحمام، دخل ولم يستأذن، حتى أنه لم يستعذ من الخبث والخبائث!، وجد أنثى مغشي عليها ومعصمها ينزف، قطعت شرايين يدها، فجاءه صوت مفاجئ من خلفه:

- أهلاً بك في مدينة اليأس.

نظر برعب إلى مصدر الصوت، فهو لم يكن يعلم أن هناك أحد غيره، فأكمل مَن خلفه:

- ماذا تريد ؟

فاستشف أنه الملك فقال له:

– ألن تساعدها، مازالت حية.

فقال له الملك:

– لا فائدة من مساعدتها.

فلما لم يُجبه الملك أدرك أنه في مدينة اليأس، وشعر بمدى سطحية

سؤاله، كان الملك ذو وجه نحيل، عليه آثار عدم انتظام الطعام، وتحت عينيه هالات سوداء تثير في القلب النفور، فقال:

– أنا هنا من أجل الحجر، فالنبوءة تحققت.

فنظر له دون أن يظهر أي تأثر، وقال:

– لا فائدة، فالبشر سينجون مما ستفعل، هم كائنات خارقة، تحمل الخير والشر معاً، هم أقوى مني ومنك ومن الذي أرسلك.

فصمت وهو غارق في اليأس، فذهب الملك ولم ينتظر منه جواب، بضع دقائق وعاد وفي قبضته الحجر، أعطاه (حجر اليأس) ولكنه قال أثناءها:

– قل لمن أرسلك ألا ينسى سليمان النبي.

مدينة الخداع

أثارت الجملة الأخيرة في نفسه الكثير من الهموم، فحتى مجرد ذكر اسمه ينتابهم خوف شديد، خوف يضرب بجذوره في أعماق النفس.

توجه بعد ذلك حسبما خطط إلى مدينة الخداع، وقف أمامها، مدينة ذات أسوار جميلة مزينة، ومن حين لآخر تهب نسمة محملة بعطر سكري خفيف يأسر القلوب، ألقى نظرة خاطفة خلف البوابة الحديدة العملاقة، كانت المدينة تعج بالاحتفالات، والزينة تملأ الأرجاء، ناهيك عن البوابة المزينة بالمصابيح الملونة، تفاءل وهم بالدخول.

على البوابة أوقفه الحراس، سائلين عن سبب تواجده هنا وعن وجهته، فأخبرهم إنه هنا لمقابلة الملك في شيء يهمه، فدلوه على سبيل القصر، الذي لا يبعد كثيراً عن تلك البوابة حسب وصفهم، فسعد بهذا الترحيب ودخل. الاحتفالات تملأ المدينة، أضفت هذه الأجواء عليه شعورًا بالطمأنينة، كانت الراقصات على المسارح، والخمور تُغرق المحتفلين، ورائحة الكحول المحببة إليه تملأ الهواء، وتذكر تلك الرائحة السكرية التي هبت وأحبها، كانت رائحة الخمور المصنوعة من الفواكه، وما زاد الأمر متعة الأضواء، منها الأحمر والأزرق والأخضر و... لم يرَ أجمل من هذا كله، وبعد حين من السير على الوصف وصل، ووجد القصر كما وصفوه له، مكان رائع الجمال، مزين بالزخارف، شامخ في السماء وكأنه يريد الاضطلاع على الأسرار، اقترب فرأى أن الباب مفتوحًا، فأسرع الخطى ليدخل، وحينما اقترب وهم بالدخول، كان الظلام يغطي المكان في الداخل، لم يرَ جيداً، لكنه كان يسير مطمئناً، وضع قدمه اليسرى ولكنه فوجئ بأنها تسقط، لم تصطدم

بأرض وإنما بالفراغ، فقد الاتزان وكاد يسقط في ذلك الجرف، لولا أنه تمسك بكلتا يديه بطرف الباب وأعاد لنفسه الاتزان، وفجأة تراءت له الحقيقة، ذلك لم يكن قصرًا بل حفرة كادت ترديه، ونظر خلفه إلى المدينة فلم يجد الاحتفالات التي كانت موجودة، ولا الزينة ولا المصابيح، ولا شيء، كل هذا كان خداعًا.

بحث في المدينة عن القصر وكلما سأل أحدهم دله على مكان غير ما دُل عليه من سابقه، لا مفر من الاعتماد على نفسه، فهو في مدينة الخداع ولن يدله أحد على الحقيقة. وبعد ساعات من البحث وجد القصر، وقف أمامه واقترب، الباب كان مفتوحًا، فتوجس خيفة من تكرار ما حدث، وضع قدمه بحذر، فتلامست مع شيء صلب، بالتأكيد هي الأرض، ولما اطمأن أنه حقيقي دخل، وجاءه الصوت المفاجئ ولم يدع له فرصة لتأمل المكان الذي دخله، إذ سأله الصوت عن مراده، فنظر إليه فإذا به الملك، فأخبره أن النبوءة تحققت وهو هنا ليأخذ حجر الخداع، فرحب به الملك ترحيبًا أعاد الطمأنينة إلى قلبه، وذهب وعاد بعد دقائق قليلة وفي يده الحجر، أعطاه له وقال:

- أرسل تحياتي لمن أرسلك.

فخرج مزهواً بهذا الترحيب وهذا التعاون، فتح حقيبته التي يحمل فيها الأحجار وهم بوضع حجر الخداع فيها كالسابقين، لكنه رأى شيئًا غريبًا، شيء أثار في نفسه الريبة، أخرج بقية الأحجار وقارن بينها، كانت الأحجار جميعها متشابهة أو باختلافات بسيطة، لكن حجر الخداع كان غريبًا عنهم، وكان واضح أنه حجر عادي! وهنا وصل إلى النتيجة المؤلمة، فقد خدعه الملك وأعطاه حجر غير حقيقي، عاد إلى القصر غضبان، فقابله الملك بهدوء، وأوضح له أنه لم يكن متأكدًا من صدقه، فهناك الكثيرون ممن سبقوه إلى هنا وقالوا ما قال عن تحقق النبوءة

ويطلبون الحجر، ولكنه أول العائدين، وهذا يدل على صدقه، ذهب وعاد هذه المرة بعد دقائق كثيرة جداً – حتى ظن أنه لن يعود– وفي قبضته (حجر الخداع).

مدينة الشهوة

لا أخفيكم سراً، إنني أعدت كتابة تلك الرواية عدة مرات حتى نال مني الملل في النهاية، في المرة الأخيرة كنت أنوي أن أعيد كتابتها لعدة أسباب، لكن في النهاية وجدت نفسي لا أقوى على المواصلة في كتابة قصة لأكثر من ثلاث مرات، وقررت حينها أن أعيد صياغة بعض الجمل التي قد تحتاج إعادة صياغة، وبالفعل قمت بذلك إلى أن اصطدمت بذلك الفصل، الذي كان وكأنه كارثة وسط الكثير من الفصول، وكأنه داءٌ لعينٌ وسط جسدٍ يريد أن يكون صحيحًا، ولكن وضعتني الحَيرة في موضع لا أُحسد عليه، أفكر حينًا أن الفصل وما فيه من تعبيرات ومشاهد لا يخرج عن السياق وعن بناء الرواية، بل هو ركن أساسي في تكوين تلك القصة لما سيترتب عليه من أحداث، وحين آخر أقول لا داعٍ لكل تلك التعبيرات والمشاهد التي حتى وإن ضرت القصة فلن تضرني أنا، وأرجّو من القارئ أن يتفهم وجهة نظري، ويتفهم أن لكل شيء سبب، وأن ذلك الفصل سيكون مقتصراً على القليل من الوصف، وأشكر تفهمكم.

دخل مدينة ذات أبواب مشرعة، فالحرس غير متواجدين، لم يرَ في المدينة سوى التماثيل العرايا، كانت المنازل في تلك المدينة مطلية باللون الأحمر، وكانت الإضاءة كذلك باللون الأحمر، وروائح مقززة يقشعر منها البدن تملأ الأجواء، تثير لديك رغبة في التقيؤ، كما أن رائحة العطور تختلط بتلك الروائح لتُنتج رائحة تثير الغثيان.

وصل إلى القصر، بناء يحيط به الكثير من التماثيل العرايا، حتى مقبض الباب كان على شكل امرأة شديدة الجمال، أمسك المقبض وأداره، لكنه شعر بمدى روعة التمثال، فحينما تتلامس يدك والتمثال تشعر وكأنك رأيت هذا التمثال على

الحقيقة، من لحم ودم، ترسل لك قبلاتها الناعمة في الهواء، بعد بضع ثوانٍ، وجد رائحة عطرية تنبعث من القصر، رائحة مليئة بالسكر والعسل والفواكه، رائحة تفقد معها إحساسك بالألم، تستسلم لتصبح فرسية سهلة المنال، لا تتحكم في نفسك أبدًا.

فوجدها تسأله عن مراده؛ ملكة مدينة الشهوة، فولّى نظره نحوها فإذا به يرى أجمل ما رأت عينه، أو أن جمال الرائحة أعطى لجمالها طابعًا خاصًا، تشعر وكأنها شمعية أكثر من كونها لحم ودم، لم يتمالك نفسه، لم تتركها عينيه إلا متفحصة، ولم يدعها خياله إلا مالكها، ولكنه حدَّث نفسه قائلًا: "إنه هنا لأن النبوءة تحققت وإنه يريد الحجر"، فنظرت إليه في عينيه فأسرته، أصبح غائبًا عن الوعي، وأنامته تنويمًا مغناطيسيًا – فهي بارعة في هذا– من شدة جمالها نام، وهنا بدأت تسأله من جديد عن مراده؟ ومن هو؟ ومن الذي أرسله؟ ولما رأت أنه يقول الحقيقة صفقت، فاستيقظ مما كان فيه، وظن أنه سرح أكثر من اللازم، وهو لا يدري أنه كان نائماً، غابت قليلا ثم عادت ومعها (حجر الشهوة).

مدينة الخوف

خرج من مدينة الشهوة مثارًا، لا يستطيع تهدئة نفسه، واجتاح صدره اضطراب ينم عن وحش يريد أن يخترق القفص الصدري ويلتهم من أمامه، لذلك لم يدع الفرصة لتلكً الأفكار، إذ توجه إلى وجهته التالية سريعاً.

مدينة الخوف، مدينة ذات أسوار عالية، يكاد النظر لا يبلغ علوها، سميكة جداً، حتى إنه ظن أن ثروات هائلة دُفعت في ذلك السور المتين، سور إذا قُذف بالمنجانيق سترتد الحجارة خائبة الرجاء، أو ستتحطم على هذا السور العنيد.

أبوابها من الفولاذ السميك، موضوعة بصورة متتابعة، واحداً خلف الأخر، لا أمل للمتسللين بالدخول، وعلى كل باب منهم عشرات الأقفال، مما يعطيك انطباعًا بأن هذه الأبواب ما فُتحت قط منذ صناعتها، وعلى بوابة المقدمة وضعت لافتة بخط عريض، يكاد الأعمى يراها: "لا تقترب؛ المكان خطر للغاية".

لا حراس! تساءل عن السبب، التحصينات تكفي، لكن هذا لم يكن السبب، فالسبب أنه في مدينة الخوف.

مر من الباب الأول كماء يسيل من بين اليدين، الآن أصبح باب خلفه وباب أمامه، تأمل تلك التحفة (الأبواب الفولاذية)، أعجوبة لا يمكن للبشر النفاذ

منها، أبواب ذات نهايات مقعرة من الداخل، أما عن شكل السور من الداخل فليس كما توقعه، فهو أشد سمكًا مما ظن، مر من الأبواب وأصبح داخل المدينة.

في الداخل كانت الصورة مرعبة، فالمدينة خالية تماماً، والظلام يغطي معظم المساحة، إلا مصباح كل كيلومتر يضئ القليل من الأرض حوله، حتى تلك

المصابيح كانت تُطفئ وتُضاء كل حين، ارتعاش الضوء أضفى شعورًا بالنفور والرهبة، جعله يفكر كثيراً قبل أن يخطو.

شيء آخر لفت انتباهه، في الثواني القليلة التي يأتي فيها النور، لمح أن البيوت كلها على شكل واحد ولها الارتفاع نفسه، أبراج عالية مطلية بطلاء واحد وهو الرمادي مما يجعلها تختفي حينما ينقطع النور، ليس لها نوافذ ولا أبواب، وهنا تعجب كيف يدخلون ويخرجون، لكنه رجَّح أن يكون لها أبوابًا سرية.

سار تائهًا، لا يعلم الوجهة، لا يرى شيئًا إلا قليلًا، والسكان لا أثر لهم، في البداية اعتقد أن وباءً استشرى بينهم وقتل الجميع، لكنه أثناء سيره سمع اهتزاز أوراق الشجر على جانبي الطريق، من الممكن أن يكون حيوانًا، أو أحد السكان يراقبه.

كلما سار في المدينة كلما سادت رائحة واحدة، وازدادت قوة مع التعمق في المدينة، رائحة البول! تلك الرائحة الشنيعة التي تجعلك تفقد تركيزك، فأصبح محاطًا بالرائحة، وبالقلق من اهتزاز الأشجار المستمر خلفه، وهنا سيطرت عليه المدينة بخوفها.

أصبح وسط اختيارين، أمَّا أن يواجه الخوف، وإمَّا أن يستسلم له ويصبح حبيسًا لتلك المدينة اللعينة، ولكنه اختار الاختيار الأول، وانقض على مكان الصوت والرائحة، فإذا به يمسك رجلًا من أهل المدينة، رجل شديد الذعر وكأنه يرى الموت، ابيضت شفتاه، وأصبح تنفسه غير منتظم، وارتعش كأرض يضربها زلزال عنيف، وهنا تبين له مصدر الرائحة، فالرجل تبول على نفسه خوفاً!

سأله عن مكان القصر، تحدث الرجل بتلعثم لا ينتهي، حتى ظن أن اليوم سينهي دون أن يقول أين القصر، فطلب منه أن يشير إلى الاتجاه، وبيدٍ ترتعش أشار

ناحية الغرب، تركه فركض الرجل كمن يركض من أسدٍ جائعٍ حتى إنه استمر بالركض غير المبرر حتى سمع أسموديوس صوت صراخه ومَن بعدها صوت ارتطام جسمٍ بالأرض ثم سكون، يبدو أنه وقع من على منحدر عالٍ ومات.

سار إلى الغرب كما أشار له الرجل، كان يسمع من حين لآخر أصوات انتحاب مكتوم، تنفس مضطرب، ويشم كالعادة رائحة البول، وصل إلى الغرب حيث المكان الذي من المفترض وجود القصر به، لكنه لا يرى شيئًا، كل المباني متشابهة، لا أثر لمبنى مختلف يدل على أنه القصر، لم يستطع الوصول ووقف حائراً.

كان واقفًا أسفل مصباح مُطفأ، فلما أضاء وجد أحدهم يسأله عن كيفية دخوله لهذه المدينة التي لا يدخلها الغرباء؟ فأجابه بـ: "إنه هنا لمقابلة ملك تلك المدينة لشأن هام"، فسأله الصوت عن مراده، فقال: "إنه لن يتحدث إلا مع الملك"، فطلب منه الصوت التحدث، ففهم أنه في حضرة الملك، كان حاضرًا بصوته فقط لم يظهر أمامه، كما أن مصدر الصوت من أعلى أحد الأبنية المجاورة له، فأخبره أن النبوءة تحققت وأنه هنا ليأخذ الحجر، فسأله الملك عما أرسله، وعما سيفعله بالحجر، وعن النبوءة؟ فلما أخبره بكل شيء وعلم صدقه مرت دقائق من الصمت والظلام، بعدها سمع صوت ارتطام شيءٍ صُلب بالأرض قريبًا منه، وهنا أضاء المصباح مرة أخرى كاشفاً له عن مراده، (حجر الخَوف).

مدينة التكبر

تزايدت ضربات قلبه، وزادت بالتبعية سرعة تنفسه، بحث عن باب الخروج في مدينة الخوف لكنه واجه صعوبة في إيجاده، لأنه بين حين وآخر يشعر بأن هناك أحد خلفه، ولكن المخاوف تكمن فيما يفكر مَن خلفه، وهنا لعبت الهواجس دورًا فعالًا، تُرى سيهوي عليه بمطرقة يهشم له رأسه، أم سيطعنه بسكين مسموم أو محفور على نصله آية ربانية تحرقه؟ نهايات لم يتمناها، لذلك كان كثير الالتفاتً إلى أن وصل إلى باب الخروج.

توجه بعد ذلك إلى وجهته التالية، فلا وقت يُضيعه، مدينة لم ير مثيلًا لها، وقف أمامها متعجبًا، فمدينة التكبر بها من العجائب ما يُذهل الناظر.

كانت ذات سور متوسط الارتفاع، لكنه عجيب الصنع وفاتن الجمال، كان عبارة عن قالب من ذهب على يمينه قالب من فضة وعلى يساره قالب من ماس، يتبعهم قالب من عقيق، وزمرد، ولؤلؤ، وقف أمام الباب المصنوع من الذهب الخالص، المرصع بالأحجار الكريمة وقرأ اللافتة المكتوبة بخط عريض يكاد يراه الأعمى "غير مسموح بدخول من هو أدنى منا"، لم يفهم مرادهم وعلى ماذا تشمل كملة (أدنى)؟ لكنه قرر الدخول.

في الداخل رأى ما أذهله، مدينة غاية في الجمال والأناقة، شوارعها من ذهب مرصع بالأحجار الكريمة، ومرصوفة بقوالب من فضة، وعلى جانبي الطريق أعمدة الإنارة النحاسية المزخرفة والحاملة لمصباح زجاجه من ماس يحمل داخله مادة تشع نورًا استنتج أنها ذهبًا، أعطى انكسار الضوء على الألماس ألوانًا بديعة من

الأطياف، وكانت هذه هي الألوان المضيئة للمدينة.

ليس هذا كل شيء، فعلى طرفي الطريق أيضاً يوجد مقاعد من معادن نفيسة، يغطيها الفرش الحريرية الجميلة، لكن ليس هناك قاعدين، فهم في أشغال أخرى، وكان بجانب المقاعد صناديق القُمامة الذهبية، التي لو أنه في مهمة أخرى لسرقها، ولكن المعروف عن مدينة التكبر أنها لا يوجد بها أحد يعمل، أو خادم أو جامع نفايات، وعلى حد علمه أن هذه الصناديق ذات أنابيب طويلة، وأن أسفل المدينة تقبع أطنان من النفايات، فالظاهر ذهب وفضة والباطن نفايات وقمامة، وهكذا تسير الأمور!

أما سكان المدينة فقصتهم قصة، فهم يمشون رافعين هاماتهم، وكأنهم يريدون الاضطلاع على أسرار السماء، يسيرون ولا يعيرون لأى شيء اهتمامًا، وهو بينهم يبدو غريباً، ولا يعرف مكان القصر، فهم بسؤال أحد السَّيارة عن مقصده، فلم يعره اهتمامًا، فتعجب وظن أنه لم يسمعه، فسأل الثاني فكانت النتيجة نفسها، فالثالث فالرابع، حتى ظن أنهم لا يسمعون، فأمسك أحدهم من يده واستوقفه، فنظر إليه الشخص بغيظ واشمئزاز، ونهره لأنها تلامسا، ثم أخرج من جيبه منديلًا معقمًا ومسح المكان الذي أمسكه منه، وألقى المنديل في القمامة حتى لا يُستعمل مرة أخرى ورحل.

سار في المدينة متعجباً، فقد كانت بيوتهم عجيبة الصنع ككل شيء في تلك المدينة، فهي كانت مطلية بالذهب السائل، وبها أضواء عجيبة تنبعث، استنتج أنها أحجارًا كريمة مخلوطة مع الذهب السائل، وعلى الأبواب لافتات تفاخر بالنفس، فلان ابن فلان صاحب فكرة كذا، فلان ابن فلان صاحب مصانع وأراضي كذا، تفاخر غريب بالنفس! حتى وإن كانت أملاكهم بلا نفع، ولاحظ أيضاً أنهم

متكلفون في ملابسهم، وكأنهم في سباق أيهم أحسن مظهرًا.

"المدينة المختارة"، لافتة يقرأها كلما سار عدة أمتار، وهنا نظر لنفسه فوجد أن المدينة بدأت تؤثر عليه، شعر بأنه لا مثيل له، إنه واحد فريد، ولكنه تدارك الأمر، لأنه إذا استسلم لمدينة في صفاتها سيُحبس فيها للأبد، كمَن حُبسوا.

بعد فترة من السير العشوائي وجد نفسه أمام بناء ليس له مثيلًا في المدينة كلها، أكثرهم تكلفًا وزينة، فاستنتج أنه القصر، كان مصنوعًا على الطراز نفسه السور البديع، قوالب أحجار كريمة، يتوسطها قوالب من ذهب وفضة، فذهب إلى الباب وقرأ: "فلان ابن فلان ملك المدينة"، كما ظن، طرق الباب، فلم يأتِ من يفتح له، فتذكر أن ليس ها هنا خادمين، فأدار المقبض الذهبي ودخل.

أصابه الذهول لما رآه في الداخل، فالأرض عبارة عن ألوان متداخلة من أحجار ومعادن مصهورة داخل بعضها بعضا، جعلته في حالة من العجز عن تمييز تلك الأحجار، جعلته يقف متأملاً فقط، حتى درجات السلم كانت من الشيء نفسه، والأثاث كان من الذهب الخالص والفضة، ولكن أخرجه من تأمله صوت غليظ يسأله عن مراده، فقال له:

– النبوءة تحققت وأنا هنا لأخذ الحجر.

فتفحصه باشمئزاز، وقال له:

– لا أحجار ها هنا.

فهم بالاقتراب فصرخ فيه:

– لا تقترب حتى لا يتسخ شيء.

فاغتاظ من أسلوبه، وتمنى أن ينتهي من تلك المهمة في أسرع وقت، فقال له:

- السيد أرسلني، وهو يريد الحجر، وأنه لن يسمح بأن يرفض له طلب.

ففهم أن العواقب ستكون وخيمة إن كان محقاً، فسأله عن التفاصيل، ولما أجابه عن كل شيء علم صدقه، فذهب وعاد بعد فترة ليست هينة، وفي قبضته (حجر التكبر)، لكنه قبل أن يعطيه له ارتدى قفازًا حتى لا تتلامس اليدان، وبعدما أعطاه الحجر خلع القفاز وألقاه في القمامة.

مدينة الطمع

تكاد المهمة تنتهي، يكاد الحلم يتحقق، بقي بضع خُطوات ويكون الكرسي جاهزًا، ليقوم بمهمته المدنسة التي صُنع من أجلها.

توجه إلى المدينة التالية، مدينة ذات صفة مميتة، مدينة لا يدخلها كريم، ولا يقربها ذو خلق حسن، مدينة الطمع.

وقف أمام أسوارها العادية، والتي لا تختلف عن أي سور أمام مكان ذي ملكية خاصة، لكنه لمح شيئًا غريبًا، أن لا باب لها، وحينما اقترب اكتشف أنه كان هناك باب لكنه على ما يبدو قد سرق.

لا حراسة ولا لافتات، دخل المدينة في أمان تام، وألقى نظرة سريعة على الأنحاء كافة، لكنه لاحظ أن هناك صفة مشتركة في هذه المدينة، أنها خالية من أي شيء، لا مظاهر زينة ولا حتى مصابيح للإضاءة، لا مقاعد على طرفي الطرق ولا صناديق قمامة، تعجب مما يرى، ولكن ما زاد تعجبه أن المنازل كانت تعج بهذه الزينة والمصابيح، حتى إن من شدة إضاءة البيوت كانت تلقي بنورها المديد على طرفي الطريق لتضيئوه بأطياف تبيح الرؤية.

بيوت كثيرة الأثاث، مبالغة الزينة، لا مكان فيها لقطعة أخرى، ولكن هذا لا يمنع حدوث شيء غريب، فقد لاحظ أثناء تفحصه للبيوت أنها تُسرق، كل جار عند جاره يسرق بعض من ممتلكاته، والجار الآخر كذلك يسرقه، ليعود كلٌ منهما إلى بيته ليجده مسروقًا، ولكنه سَرق، فيضع ما سَرق مكان ما سُرق وكأن شيئًا لم يكن! حتى مَن لا يسرق فيقف في شرفته المطلة على حديقة جاره والتي من خلالها

يستطيع النظر إلى منزله متأملاً، بل حالماً بأن يملك ما عند الجار من تحف، حتى وإن كان بيته لا يخلوا من تحف مشابهة لتحف جاره!

وهناك ما لفت الانتباه أيضاً بخلاف تصرفاتهم، فالمظهر لم يكن أقل ريبة من التصرف، كانوا قوم متسعي الحدقات، تكاد جفونهم تنفتق، ولعابهم يسيل ككلب مرهق، حتى إن ملابسهم تكاد تكون غارقة بذلك اللعاب المقزز.

سار في تلك المدينة الشنيعة، إلى أن وجد أحد سكانها يقف دون أن يفعل شيئًا، فاقترب منه سائلاً عن مكان القصر، فالتفت إليه الرجل الذي لا يختلف مظهره عن بقية مَن في المدينة، متسع الحدقات، لعابه غزير، فأخذ يشرح له المكان ونظره معلقًا على الحقيبة التي يحملها، وحينما لاحظ أسموديوس أن نظره على الحقيبة خاف وبحركة عفوية قام بوضع يده على الحقيبة وموارتها عن نظره، فاستنتج الرجل أن ما بها ثمينًا.

اتجه حيث وصف الرجل، والعين لم تغفل عن هدفها، وبعد مشي كثير متعب وجد بركة ماء وعلى طرفها يجلس أحد السكان على أربع و يمد رأسه ويشرب، وحينما وصل كان الرجل قد فرغ من الشرب، ولكنه حينما رآه قادماً ليشرب عاد وأكره نفسه على الشرب، وعلى وجهه علامات الشبع، ظل يشرب حتى إنه لم يُبق خلفه سوى قطرات قليلة لا تروى الظمأ، ولكنه لم يمقت القليل لأن الحرمان أقل منه، خلع الحقيبة والعين لم تغفل عن هدفها، وضعها على الأرض وذهب ليشرب، ولكنه حينما عاد لم يجدها، فظن أنها دفنت في الرمال لأن الرمال على طرف البحيرة حيث ترك الحقيبة كانت ناعمة، لكنه حينما حفر لم يجدها، فاستشاط غيظاً، وبدأ الجنون يعصف بالتعقل، فالحقيبة بها كل الأحجار التي جمعها، وباختفائها سيضيع كل ما فعلوه من أجل المهمة المدنسة، غير العقاب المذل الذي سيناله من إبليس،

وأثناء الصدمة وما تبعها من أفكار شنيعة سمع صوت احتكاك شيء بالأرض، أحدهم يركض، نظر في اتجاه الصوت فوجد الرجل الذي وصف له مكان القصر قد سرق الحقيبة ويهرب بها، فكان في لمح البصر أمامه، ففزع الرجل وسقط على الأرض، فاقترب منه ونظر إليه في عينيه فأراه الجحيم القادم منه، فترك الرجل الحقيبة وفر هارباً.

أخذها وأكمل طريقه، وصل إلى القصر، دخل بدون استئذان، ففوجئ الملك من هذا التصرف، وكان يأكل بشراهة، سأله عن مراده، فقال: "إن النبوءة تحققت وأنه هنا ليأخذ الحجر"، فنظر له الملك بقلق وأكمل طعامه ولم يقدم له شيئًا، أخذ يأكل حتى كاد أن ينفجر، ولما فرغ قال له:

– من أرسلك؟

فقال:

– السيد.

فرد عليه:

– ولم أنت لتقوم بهذه المهمة؟

ولم ينتظر رده حيث أتبع:

– لما لا أكون أنا؟

فقال له:

– إنها أوامر السيد الذي لا يُعصى أمره في العالم السفلي، فهو أعلمنا، ونحن جميعاً من نسله، فنظر بيأس وذهب، وحينما رجع كان في يده (حجر الطمع).

مدينة الفساد

اتبع الأسباب حتى وصل إلى وجهته، مدينة ذات صفة مميتة، صفة لا تقتل بسرعة ولكنها تُعذب ثم تتبع العذاب بعذاب، ثم بعد أن تفرغ من تعذيبك تميتك ميتة شنيعة.

مدينة الفساد، الفساد الذي ضحى بالأحلام، وسمم الأفكار، وقتل المواهب، ودمر أقوامًا وأقوامًا، كان يدرك صعوبة المهمة، كان يعلم أنها مدينة صعبة، لكن ما رآه في الواقع جعله يتعلم أن ما تخيله أشبه بخيال الأطفال، فالواقع أدهى وأمر.

وقف أمام أسوارها المنخورة، أسوار غريبة لم يرَ مثيلًا لها، اقترب ليفهم فوضع يده على السور وعلى الثقوب الكثيرة التي فيه، فشك في أمر ما، فكور قبضته وضرب السور، فتأكد مما شك فيه، فالسور هش، أجوف، رقيق، لم يحتمل ضربة يده ليضع بصمته هو الآخر بجانب من وضعوها، وليترك للمدينة شيئًا جديدًا من أثره كما ترك السابقون آثارهم.

سار قليلاً حتى وصل إلى باب ليس كأي باب، لا يماثل الأبواب التي كانت في المدن السابقة، فقد كان مصنوعًا من الصفيح الهش المُشكل باليد، وليس من الفولاذ كأبواب بعض المدن، فأمسك بيديه عمودان ودفعهما في اتجاهات متعاكسة، فأحدث فجوة في الباب تسمح له بالدخول.

في الداخل، رأى قمامة تفيض من الصناديق كلبن يفور على نارٍ

متوهجة، وبجانب الصندوق لافتة عريضة: "نظافة المدينة مسؤوليتنا" وتحتها إمضاء ملك المدينة! رأى القَذَرَ يملأ الشوارع، والمصابيح مطفأة الأنوار إلا قليلًا

مما يسمح بالقليل من الرؤية.

كان مازال جائعاً؛ فهو منذ بداية تلك المهمة لم يأكل جيدًا، فتفحص بنظره طرفي الطريق فوجد أشجارًا بها ثمر، فقرر أن يذهب ليأكل، وصل إلى أحد الأشجار، تشبث بساقها ومد يده وقطف ثمرة، فإذا بها سوداء، قطف أخرى فكان لها رائحة حمضية تثير القشعريرة، وثالثة فلم تختلف عن سابقيها، فظن أن العيب من الشجرة، فاتجه إلى شجرة أخرى وقطف منها، فحدث الشيء نفسه، الثمر كله عفن!

ففكر أنه إن لم يأكل فسيشرب ليسد شيئًا من الجوع، فذهب إلى صنبور ماء وفتحه، كان الضوء لا يصل إلى الصنبور إذ كان يمنعه قرميد يمسك الصنبور، فتح الماء ووضع كفيه ليبلغ الماء فاه، لكن بمجرد تلامس الماء مع فمه حتى شعر بشيء غريب، رائحة الماء ليست عادية، فرفع يده بالماء ليرى في الضوء، فإذا به يرى ماءً أخضر ممزوج بالشوائب، لا يصلح للشرب وإن شرب فسيفسد جسده ويبقى حبيسًا لتلك المدينة، مصاب بلعنتها الأبدية.

وجد أحد السكان يسعى، فلفت انتباهه بأن استوقفه، فلما نظر إليه الرجل تمنى لو لم يوقفه، إذ كان ذو وجه أزرق وعينين حمراوين وكأنهما ملطختان بالدم، وعلى ملابسه وعلى فمه بقايا قيئ، فسأله عن سبب فساد الثمار في تلك الأشجار، وما بال الماء ها هنا عفن؟ فابتسم الرجل مظهرًا أسنان سوداء وباعثًا نفسًا كريهًا وكأنه الموت وقال:

– ماذا تنتظر من الانغماس في الطين؟

ورحل ولم يفسر له السبب!

سار خائر القوى من انقطاع الماء والطعام عن جسده، بحث عن القصر لكنه لم يستدل عليه، فقرر أن يسأل أحد السيارة وكان لا يختلف مظهره عن الذي سبقه، لكن ذلك الرجل رفض أن يدله على القصر إلا بعدما يعطيه قطعة ذهبية، تحت مسمى حق الخدمة، فأعطاه ما طلب، ووصف له الرجل مقصده، فسار على الوصف إلى أن وصل.

القصر بناء مهدم هش يكاد جداره ينخلع أو يخر فوق الملك، وباب القصر كان مصنوعًا من خشب رقيقٍ لا يحتمل أن يُطرق عليه حتى، فدخل القصر وقابلته الرائحة الحمضيةً التي تبعته طوال رحلته في هذه المدينة، فوجد من يسأله عن مراده، فالتفت فتبين أنه الملك، فقص عليه تحقق النبوءة، وأتبع بأن السيد أرسله ليأخذ الحجر، ولما تبين له صدقه رحب به، وسأله عن سبب تعبه، فحكى له مشكلته مع الثمار والماء، فأمر الملك أحد الخادمين أن يكرم الضيف بالماء وأن يشوى له ما لذ وطاب، فعاد الخادم ومعه أبريقًا من الماء البارد ولكن عندما صب له في الكوب فإذا به مشابهًا لما كان في الصنبور! وخرج الخادم وعاد ومعه جيفة عفنة رائحتها لا تطاق، والذباب يتصارع عليها، فتبين له أن هذه الجيفة هي اللحم الذي سيُشوى؛ فاعتذر للملك أنه لن يأكل ولن يشرب لضيق الوقت، وطلب منه الحجر، فغاب الملك دقائق ثم عاد وفي قبضته (حجر الفساد).

مدينة الحقد

تبعته الرائحة الحمضية لفترة، بقي أثرها في أنفه حتى وصل إلى وجهته التالية، مدينة تحرق ولا تُبقي، تُضيع ولا تسلب، هي فقط تتمنى الزوال لمجرد الحرمان، إنها مدينة الحقد.

وقف أمام أسوارها العادية، ولكنه لم ينخدع بها، فهو كما يعلم مليئة بالأشواك السامة، التي إن تلامست مع اليد ستظل روحه محبوسة في تلك المدينة إلى الأبد.

نظر في السماء فلم يجد القمر، ولكنه بدلاً من القمر وجد عينًا ضخمة ترصده، فارتاب لمجرد علمه بأنه مراقب، دخل المدينة، حُذر من الشرب أو الأكل فيها، فتجنب برك المياه والشجر ذا الثمر.

سار على غير هدى في المدينة فوجد أحد السكان قعيداً لا يقوى على الحركة، فهمّ بسؤاله عن مكان القصر، فالتفت إليه القعيد فوجده وصل من القبح ما لم يسبقه فيه أحد، كان ذو صدر متفحم، وقلب كأنه قطعة من الجحيم، يلفظ دخانًا داكن السواد، ومقلتيه وكأنهما حمم بركانية تغلي، فسأله عن الوجهة فأجابه القعيد كاشفًا عن لسان كلسان الثعابين يقول:

– قدماك مفتولة العضلات، رشيقة الخطوات، سريعة الحركة، أوصف لي كيف تشعر وأنت تسير أصف لك مكان القصر!

فتعجب منه وزاد تعجبه حين نظر إلى قدميه فوجدهما تحترقان، فاختفى هارباً من ذلك القعيد ذي القلب المريض، مسموم الكلمات، فوجد آخر لا يختلف عن القعيد في الهيئة المنفرة، ولكنه كان كفيفاً، فسأله عن مكان القصر، فقال:

– مالي أصف ما لا أرى، وأنت ترى ما لا أرى، أوصف لي ما ترى أدلك على من يدلك على القصر!

فوصف له:

– أرى أرضًا قاحلة، وسماءً سوداء يتوسطها عين ناظرة، وزروعًا جافة، وحيوانات نافقة.

وكطريقة للدفاع عن نفسه أتبع قائلاً:

– فهنيئاً لك انطفاء بصرك، فهي نعمة في أرض تخلو من النعم.

فرد عليه قائلاً:

– فلتذهب كل النعم وليأتيني بصرٌ حادٌ كبصرك.

فشعر بأن عينيه وكأنهما وضعتا في قلب الجحيم، شعر وكأنهما تسيلان، تردد بصره وأصبح مشوشاً، فلم يجد إلا الهرب مخرجاً، فاختفى دون أن يكمل هذا الحديث، وتوارى عن الأنظار حينًا من الوقت.

قرر ألا يعتمد على سكان تلك المدينة الملعونين، فسار متفحصاً تلك المدينة ذات العجب، كان ثمر الأشجار على شكل عيون متسعة الحدقات، غليظة النظرات، تشعر وكأنها تتبعك أينما ذهبت، تجعلك تتصبب عرقًا من فكرة أنك مراقب طوال الوقت.

وعلى طرفي الطريق الكثير من الموتى، منهم من اُحترق حتى تفحم، ومنهم – وهم كُثر– من كان له وجه أزرق وعيون حمراء محدقة في اللا شيء وعلى ملابسه وبجانبه الكثير من القيئ، وعلى ضوء أحد المصابيح وبجانب إحدى الجثث ذات

الوجه الأزرق، والعين الحمراء، وجد بعض الخطوط التي تبين له حينما دقق النظر أنها كلمات تشير بصورة قاطعة إلى القاتل، كانت كلمتان لكنهما تكفيان لتوضيح الصورة، وتترك لك مساحة شاسعة لتتخيل التفاصيل، كان مكتوبًا: "أخي السم"، استنتج أن من قتله أخوه وأن الوسيلة كانت السم، ولكنه سرح في مخيلته الخصبة بحثاً عن التفاصيل، تخيل أنه قد يكون بدافع تفضيل أحد الأبوين على أخيه، أو حقدًا دفينًا ولد ولم يدفن منذ الصغر، لكنه نحّى هذه التخيلات جانباً، وحشد كل الحواس للهدف المرجو.

ما أغرب منازل تلك المدينة اللعينة! فهي عبارة عن قبب رمادية لا يظهر منها شيء، لا نوافذ ولا أبواب، لذلك لم يتبين له ما بداخلها، واستنتج أن للمنازل أبوابًا خفية يدخل ويخرج منها الساكن، فلم يسأل عن أي شيء حتى لا يلفت إليه الأنظار مرة أخرى، سار في هدوء تام باحثـًا عن ذلك القصر.

في الطريق وجد محل هو الوحيد في تلك المدينة، كان قد أرهقه الجوع والعطش، فذهب إلى المحل ليبتاع منه شيئًا يأكله، فلما دخل وسأل عن شيء يؤكل رد عليه صاحب المحل قائلاً:

- أنا لا أبيع هنا سوى السم، لا طلب ها هنا إلا على السم.

فتعجب ورحل...

لم يجد صعوبة في تحديد القصر، فقد كان بناءً مميزًا عن بقية الأبنية في المدينة، كان بناءً غريبًا لم يرَ مثله من قبل، كان عبارة عن عين كبيرة رمادية تنظر إلى الشمال، لكن كما هي العادة في تلك المدينة فلا نوافذ تشرح لك ما في الداخل، اقترب من الباب الذي كان في حدقة العين، طرقه ولكن كما هي العادة مع قصور مدن الخطايا لا إجابة، دخل ووجد الكثير من الزجاج والفخار المحطمين، ومرايا مهشمة، وجُدر

مهدمة، كما وجد دخانًا أسودًا كثيفًا يغطي السقف ويمنع الرؤية لما أبعد من متر، وإذا به يرى شخصًا يخرج من بين السحب الدخانية يسأله عن مراده، ومن هيئته الرهيبة علم أنه الملك، صدر متفحم، وعينان تغليان، ولسان ثعبان لم يرَ في طوله، فحكى له أن النبوءة تحققت وأنه هنا ليأخذ الحجر، فتفحصه، فتوجس خيفه من عواقب ذلك التفحص، وذهب وعاد وفي يده كوب به ماء، وقال له:

– لعلك تريد شرابًا يهدأ لك روعك، ويريحك من مشاق هذه المهمة.

فهدأ وتناول منه الكوب، لأنه كان حقاً يحتاج إلى ماء يشربه، فرفع كوب الماء حتى تلامس زجاج الكوب مع شفتيه، ولكن جاء صوت صاحب المحل في أذنيه يقول: "لا طلب ها هنا إلا على السم"، فأنزل الكوب سريعًا ولم يشرب منه، ونظر للملك وقال:

– أنا في انتظار الحجر، فأتِ به، فإن السيد ينتظر، وهو – كما تعلم– لا يطيق الانتظار.

ففهم الملك صيغة التهديد المغلفة لهذه الكلمات، فذهب وعاد، وفي قبضته (حجر الحقد).

مدينة الإغواء

بخطوات حذرة خرج من تلك المدينة اللعينة، مدنية الحقد، تجنب ملامسة أي شيء، خوفًا من الأشواك السامة، ورهبة من المصير الكريه.

لم يبقَ سوى مدينتين، نظر في حقيبته متأملاً كنزه العزيز، فهو أول من حمل حجر الشرور بعدما قُسِّم، ووجهته التالية رغم عدم وجود أحجار بها إلا أنها مدينة لا تقل أهمية عن بقية المدن، فهي مدينة أول معصية للإنسان، مدينة أول انتصار للشر، مدينة رهيبة، دخولها أسهل من الخروج منها، مدينة الإغواء.

أول القصيدة عجب، فمدينة الإغواء ليس لها سورًا كبقية المدن، بل وجد نفسه داخل المدينة بلا أي عوائق، ودون أي سؤال.

على طرف المدينة وقبل الدخول لاحظ وجود غيمة كبيرة، كثيفة الماء لا تتحرك من فوق المدينة، كما لاحظ وجود الكثير من الأبواب الخشبية العتيقة المنقوشة بالكثير من النقوشات، لم تتبين تلك النقوش من ذلك البعد، لذلك اقتاده الفضول ليقترب أكثر.

دخل المدينة المباحة للجميع مهتوكة الستر، وكله أمل أن ينتهي منها بأسرع ما يمكن، ولكن أخرجه مؤقتـًا من تفكيره حدثٌ غريبٌ لم يعهده، فالغيمة الكثيفة أعلاه تمطر وما كان المطر ماء إنما خمر تُسكِر، فابتهج، ثم أخرج قدراً فملأه وشرب.

استعاد بعض من حيويته، سار محاطـًا بهواء مليء برائحة الخمر، وعلى أرض طينية لزجة مشبعة بالخمر المتساقط، أشجار تلك المدينة مليئة بالثمار، بدأ يقطف منها ثمارًا ممتلئة، نضرة، تُسيل اللعاب، فأكل منها وإذ به يجدها مسقية بالخمر،

فسعد، فقد وجد هنا أكله وسقياه، فتح حقيبته وجمع فيها ثماره لتمده بالغذاء طوال الرحلة.

أكمل أكل ما تبقى من الثمرة وما برح أن يكملها حتى شعر برأسه يُثقل، وعينه تُغمض، ونفسه يهدأ، أصبح ثملًا، وبدأت المدينة تؤثر عليه، بدأ يتراءى له ما كان خفي عنه، رأى مدينة شديدة الجمال، طيبة الرائحة، ذات هواءً دافئًا جميلًا، صدمته نِسمات الهواء المنعشة المشبعة برائحة الخمر، لم يستظل تحت الأشجار من مطرٍ وهو السقيم وذاك المطر يشفيه، ولكنه أخذ يسعى وقد نسي لما جاء إلى تلك المدينة، نسي أنه في مهمة، وأنه يملك الأحجار، ووقعت عيناه على أحد الأبواب الخشبية العملاقة، باب يرتفع إلى ثلاثة أمتار وعرضه لا يقل عن أربعة أمتار، بني اللون، مزين بمصابيح ذات زجاج ملون على طرفي الباب، اقترب من الباب تأمل النقوشات، كانت تدل على النعيم الأبدي، لا شقاء هنا، هنا راحة، وطعام وشراب بغير حساب، زروع وفاكهة وأشجار ذات ظل، ماء وخمر، وكل ما تشتهي نفسه يجده أمامه.

أعجبه ما تدل عليه النقوشات، تمنى نفسه بالداخل، لكن الباب موصد ولا يبدو أنه فتح من قبل، مرر يده على النقوشات يتأملها، مرر يده متمنياً العيش في ذلك المكان، فإذا بالباب يفتح على مصرعيه، ليرى ما يحدث في الداخل من نعيم، يرى من سبقوه إلى ذلك النعيم وهم يأكلون ويشربون، يلعبون وينامون غير عابئين بشيء، فالاطمئنان يسيطر عليهم، وهو ما يفتقده في حياته التعيسة، تردد في الدخول فإذا بالباب يُغلق في وجهه، وبفطرته ترجم ما حدث على أنه عدم استغلال لفرصة عظيمة سنحت له، فحزن، ولام نفسه المترددة، وتعاهد معها على استغلال أشباه الفرص إن قَدُمت.

جال بنظره يتأمل ذلك السحر الأخَّاذ فإذا بنظره يقع على باب آخر على مقربة، وتحت تأثير السُكر سار مترنحاً متجهاً إلى الباب، فلما اقترب منه رأى النقوشات وهي تدل على حفلة راقصة، وما تتجه إليه شهوته كتوابع حفلات الرقص، مرر يده يتمنى أن يكون بينهم، مرر يده بشهوة تكاد تحرق صدره، فإذا بالباب يفتح، وإذا بجميلات يرقصن، عازفون يعزفون أنغام تُطرب، نادل يجوب الحفل حاملاً الكنز العزيز (كؤوس الخمر).

أوقفوا الاحتفال حينما رأوه، نظر الجميع إلى الزائر، أشارت إليه إحدى الفاتنات؛ تعال، مالك واقفًا بالخارج والداخل يرحب بك! وتناولت من أحد النادلين السائرين كأسًا من خمر ومدت يدها له به أن تفضل، وأتبعت قائلة:

– لن نحتفل بدونك.

دق قلبه بعنف في صدره، حتى هيأ إليه أنه مع كل نبضة عنيفة يتقدم جسده الهزيل خطوة إلى الحفل، وقفزت الدماء إلى أعلى رأسه، وتوابع ما حدث زادت سرعة تنفسه، مما جعله في موقف دفاع أمام رغباته الجامحة، وبدأت الموسيقى بالعزف من جديد و لكن ببطء وبهدوء، تقدم هو نحوهم، وبدأت الراقصة تبتسم له ابتسامة جعلته يتصبب عرقاً...

بخطوات مهتزة اقترب، وبدأ الدوار يضربه، زادت سرعة الموسيقى وقوتها، اقترب حتى أصبح على بعد خطوات قليلة جدًا من الدخول، حتى تذكر التحذير منْ مَن بعثه للمهمة "احذر من مدينة الإغواء، فهم سيغوونك حتى ينالوا منك"، فاستفاق وتراجع خطوتين، فإذا بالراقصة التي كانت على طرف الباب فاتحة ذراعيها له تنقلب وتصير وحشًا، وإذا بالباب الذي كان بداخله عالم محبب مليء بالملذات ينقلب جحيماً من نار تغلي، كان في الداخل الكثير من الثعابين والتماسيح

العملاقة، وكائنات ضخمة قبيحة الشكل، كريهة الرائحة، لها أسنان مدببة تبخ السم والنار، فتراجع من هول الصدمة، فهو كان على بعد خطوة واحدة من الهلاك، وكلما سار ظهر له باب به ما تشتهي نفسه، لكنه فهم أن تلك عادة مدينة الإغواء، ولكنه جمع كل الأحجار، فلماذا هو هنا؟! تذكر الحوار الذي دار بينه وبين إبليس، ولكن رد إبليس كان واضحًا:

– في مدينة الإغواء شيء اشتقت إليه، شيء ساعدني على الانتقام، وسيساعدني في القضاء عليهم.

لم يشقَ كثيراً ليجد القصر، فالمدينة مليئة بالأبواب المكتظة بعوالم ساحرة خادعة، ولكن القصر هو البناء الوحيد الموجود في تلك المدينة، قصر ذو طابع خاص مميز، أضواءه كانت برتقالية لامعة، مليء بالنقوشات، وفي ذلك القصر تمكث أقوى ملكات العالم السفلي، ملكة تدعى (ليليث) معروفة بالشر والإغواء، وإنها لا ترحم من يقع تحت رحمتها، ولكنها حسبما زعم إبليس أهلًا للثقة لحماية أعظم أسرار العالم السفلي.

القصر شديد الجمال، منبعث منه رائحة الفواكه من كل مكان، كانت أرض القصر عبارة عن حشائش متساوية بعناية شديدة، خضراء نضرة، وعلى أبعاد متقاربة يوجد أشجار كثيفة الأوراق كثيرة الثمر، والأرائك المريحة تحت كل شجرة، وجد صوتًا ناعمًا رقيقًا يسأله عن مراده، فقال إنه جاء من قِبل السيد وهو يريد ما يميز المدينة لصناعة الكرسي، فردت عليه قائلة: "هل النبوءة تحققت؟" فأجاب بالإيجاب، فسألته عن المراد، فلم يستطع الإجابة؛ فهو لا يعلم ما في هذه المدينة، فطلبت منه أن يتبعها.

كانت شديدة الجمال، ذات ملامح دقيقة، فتعجب مما يحكى عنها أنها لا تقهر،

وأثناء السير في ذلك القصر الجميل المليء بالرسومات والألوان التي تمثل حقب لم يحضرها هو، تحدثت معه عن قيمة ما في هذه المدينة، ففيها شيء أكثر قيمة من تلك الأحجار، هنا شيء تسبب في وجودنا، فإن لم يكن موجودًا لم نكن ولدنا ها هنا، كنا سنكون في الجحيم نشوى، ذلك الشيء الذي ساعد إبليس في فعلته مع آدم، وبه استعان، هنا تكمن أعظم ممتلكات العالم السفلي.

سارا معا في طريق يطلق عليه في مدينة الإغواء طريق الخلود، في طريق الخلود هنا الكثير من اللوحات التي تحكي ما حدث، عن إبليس وهو من المقربين، وعنه حينما علم بأمر الكائن الجديد، وهو يلمس الحجر لأول مره، وأثناء إغواءه لآدم، وأخيراً عن النبوءة وعن صناعة الكرسي، لوحات تتوسط جدارًا غريبًا عشبيًا، شعر وكأن الأرض تحيط به من جميع الجهات، وثمار تتدلى من الأسقف والحوائط، وفواكه لم ير مثلها أبداً، كانت مغلفة بطبقة من العسل يعطيها لمعانًا يثير شهوة الأكل، همَّ بقطف واحدة وأكلها، لكن ليليث قالت: "عجيب أنك لم تتعلم!" والأعجب أن يرسلك إبليس لهذه المهمة، فتساءل لماذا تقولين ذلك الكلام؟! فقالت له: "إنك هنا أسيرًا حتى أن تنتهي المهمة"، فإن تمت بنجاح فستخرج وإن لم تتم فستبقى هنا إلى الأبد، واللوحات على الجدار تحذرك من الأكل من هذه الثمرات، فلا تكن كآدم، ضعيفًا أمام الإغواء.

انتابه الحزن لأنه ليس جيدًا بما يكفي مثل هؤلاء الملوك والملكات؛ أخرجته هي من حالة الحزن بأن قالت وهي تقف أمام باب ضخم مليء بالنقوشات والكلمات العجيبة التي توضح إغواء إبليس لآدم: "أنت على بعد خطوات من الكنز"، وولت وجهها ناحية الباب وأغمضت عينها وتلت كلمات لا تقل غرابة عن تلك المكتوبة وعن الذي يراه ها هنا، فُتح الباب وانكشف السر العظيم، الشجرة المحرمة، عظيمة الارتفاع، غليظة الساق، كثيفة الفروع، والتعاريج على ساقها تشير إلى

العمر المديد، تساءل عن الذي سيأخذه من هذه المدينة، فذهبت وهي تقول أنت معك الثمار وأنا سأعطيك الأساس الذي سيحمل كل ذلك، لم يفهم كثيراً لكنه فضَّل الانتظار، عادت ومعها قطعة خشب، وقالت: "هذه القطعة من شجرة الإغواء، وستُستخدم في صناعة الكرسي" ففهم مقصدها، سيكون هذا الخشب هو الكرسي، فأخذ الجزع ورحل عائدًا، ولكن تبقي أمامه أكثر المهام صعوبة وأشد المدن خبثًا، مدينة لا يدخلها شيء ويخرج سالماً، مدينة ليس لقوتها في العالم السفلي مضاهة، مدينة الظلال.

لكن قبل أن نتحدث عن مدينة الظلال وجب التحدث عن شخصية تُعتبر من أهم الشخصيات التي ساهمت في خروج الكرسي إلى النور.

أقـــربـــــــا

– مدينة بارسبا ٥٩٠ قبل الميلاد:

في أحد الأسواق المزدحمة جنوب مدينة بابل، حيث الهرج والمرج، حيث رائحة الخضراوات والفاكهة واللحوم الممزوجة برائحة عرق المتسوقين والباعة والمختلطة أيضا برائحة روث البغال والدجاج مع رائحة الخضار التالف، هذه التركيبة العجيبة من الروائح الممتزجة يستنشقها أنفك ويترجمها عقلك ويحفظها في أرشيفه تحت مسمى (رائحة السوق) حيث الفوضى ولا صوت يعلو فوق صوت الفوضى، نادى منادٍ من قصر الملك في الحشد:

"يا قوم إن ملككم نبوخذ نصر يريد من يصنع له كرسيًا ليصير عرشه الجديد، فمن منكم يستطيع صناعة كرسي يليق بالملك واهب العطايا وصاحب أقوى إمبراطوريات العالم فليأتِ إلى قصره في مدينة بابل ويقدم له الكرسي، وإذا أعجبه فسينال صاحب الكرسي وافر العطايا، وسيأخذ من الذهب والفضة ضعف وزن الكرسي، وعلى من سمع إخبار من لم يسمع".

في اللحظات التي قال فيها مبعوث القصر رسالة الملك تجمد كل من في السوق من باعة ومتسوقين وعم الصمت الرهيب وكأنهم أصبحوا هم وبضاعتهم سواء، فمن المتسوقين من كان يمسك بالإبهام والسبابة والوسطى ثمرة فاكهة ويقربها من أنفه ليعرف مدى جودتها، ظل ثابتًا على هذه الوضعية، ومنهم من كان فاغراً فاه وهو يستمع إلى مبعوث القصر، ومنهم من لم تطرف له عين أثناء حديثه، ومنهم من توقف عن التنفس خشية أن يؤثر احتكاك الهواء الداخل والخارج منه بشعيرات أنفه على سمعه فيفوته حرف مما يقوله مبعوث القصر، كانوا جميعاً كالمنومين مغناطيسياً

بفعل سحر غامض لا يدرون مكمنه، أهي هيبة ملكهم التي لا يتجرأ أحد على التفكير.. مجرد التفكير في المساس بها؟ أم هي طلاقة وثقة مبعوث القصر؟ لا أحد يدرى ما حدث، فالعقل الباطن كان هو المسيطر على الوضع، كانوا يتعاملون مع الموقف بطريقة آلية، طريقة السمع والإنصات لمبعوث القصر.

وكان من ضمن المتسوقين آنذاك شخصٌ متلحفٌ بالسواد ولا يظهر منه سوى وجهه ويداه الذين كانوا بلون قمحي محروقٍ من أثر وقوع أشعة الشمس الطويل عليهما، وكانت عيناه لونها أسود يضفي عليها شيئًا من الغموض والرعب معًا، حتى إن الناس لم تكن تستطيع إطالة النظر في عينيه، كان يسيطر عليهم شعورٌ غريبٌ من عدم الارتياح، وكانت تحت عينيه هالات سوداء مما كان يزيد الأمر سوءًا، كان هذا الشخص ساحرًا من أقوى السحرة، لا نبالغ إذا قلنا إنه الأقوى في الإمبراطورية البابلية كلها.

كان قبل وصول مبعوث القصر يشتري بعض الاحتياجات من لحوم، وخضراوات، وفاكهة، لكنه كان لا يقايض مقابل ذهب أو فضة بل كان يقايض بأشياء سحرية، كتميمة تعلق على الصدر تحمي من الحسد، أو مساحيق تُحرق لينبعث منها دخان طيب الرائحة يطرد الأرواح الشريرة ويُبطل السحر، أو شراب مُقَوٍّ.

لكنه بعد سماع الرسالة ترك ما في يده من أشياء وتجاهل البائع الذي كان يطلب منه زجاجة أخرى من الشراب المُقوِّي، ونسي ذاك الذي يستسمحه أن يزور بيته ليطهره من الأرواح الشريرة، تجاهلهم جميعًا مسرعاً إلى بيته ليرى ما يستطيع فعله لصناعة كرسي يجعله يفوز بهذه الجائزة المدهشة.

تحققت النبوءة – ذلك ما كان يفكر فيه– فبعدما منَّى نفسه بتلك النبوءة، حلم

بها وتمنى أن يكون هو المُنفِّذ ها هي تتحقق، لذلك ركض عائداً إلى بيته الذي كان بعيدًا بعض الشيء عن السوق، وكان ستستغرق العودة أكثر من عشرة دقائق، لكنه عاد في مدة أقل من خمس دقائق! ليس لأنه ساحرٌ ويملك بعض الصفات المميزة، فهو لا يطير، ولا يأكل النار، ولا يبول خمرًا! هو مجرد إنسان مثلنا، بل لأنه ركض عائداً إلى بيته، فالأمر عاجل لا يحتمل التأخير.

كان يوماً حارًا، تكاد الشمس فيه أن تلمس الرؤوس، ومن الركض والحر أصابه دوار، لذلك حينما وصل إلى بيته وفتح الباب انتعش، فالبيت كان محتفظًا بهوائه البارد ورائحة المساحيق المطهرة ذات الرائحة العطرة أنعشته، جلس وبعث برسالته إلى من ينتظرون، فما أفنوا فيه قرونًا ها قد حدث، وما تناقلوه على أنه الحدث الأدنس قد تحقق، طلب أحد الملوك كرسيًا لملكه، ولكن لكل منا قصة وقصة ذلك الساحر غريبة إلى حد كبير.

بدأت قصته في المدينة بأن أهلها في يوم من الأيام وجدوا طفلًا غريبًا، يقف وحيداً بالقرب من السوق، فظنوا أنه مع أهله وهم في السوق يبتاعون شيئًا، ولكن الليل حل ولم يبرح هو مكانه ولم يأتِ أحد ليسأل عنه فتعجب أهل المدينة! وزاد التعجب حينما مر يومان ولم يبرح الفتى مكانه، كانوا مشفقون عليه جدًا ومنهم من أخرج له طعام ومن أخرج له شراب، وبعد مرور اليوم الثالث وبتأكد أهل المدينة من أنه تائه، توافدوا عليه يتساءلون عن أهله، ولكنه أجزم ألا أهل له! وإنه لا يعلم ما الذي أتى به إلى هنا، فأشفق عليه أحد التجار الأثرياء وقرر أن يشترى له بيتاً يعيش فيه، وكان يومياً يرسل إليه الطعام والشراب، ومنذ ذلك الحين أصبح من أهل المدينة الذين أطلقوا عليه اسم (نخرايا) وهي تعني الغريب في لغة تلك المدينة.

لكنه لم يحل إلا وحلت معه لعنة على المدينة بأكملها، فقد جفت نصف المحاصيل، وتلوثت ينابيع المياه، ومات الكثير من أهل المدينة، وما بقي منهم طاله الهم لفقدان الأحبة، هرع بعض منهم بالقرابين إلى المعابد، ظانين أنه غضب من الآلهة، لكن البلاء لم يُرفع، وظل هذا حال المدينة منذ ذلك الحين، ولم يربط أحدهم اللعنة بقدوم ذلك الفتى، حتى أن الثري الذي تبناه خسر نصف ثروته، حتى إنه زاد ساعات العمل ولكن لا جدوى، ولم يفكر هو الآخر بالفتى، ذلك الفتى الذي يشبه الكثير من الأطفال في البراءة الظاهرة على وجهه، ولكن بداخله الكثير من الشر والغموض، فمنذ فترة حين بدأ يتعلم ويستوعب، كان يلعب في فناء منزله حين رأى شخصًا غريبًا في منزلهم، شخص لم يره من قبل، كانت ملامحه غريبة، وملتحفًا بالسواد، له نظرات تثير الريبة والقلق، ولكن جاء ومعه لُعبة لذلك أحبه وتحدث معه، كان يحدثه في أشياء لا يُتحدث فيها مع طفل صغير، كان وكأنه يزرع شيئًا سيحصده بعد ذلك أكبر وأكبر، فقد كان من ضمن حديثه:

– أتحب أن تصبح قويًا؟ أتدري أن القوة تأتي حينما تقتل؟ أتحب والديك؟ ماذا قدما لك لتحبهما ؟ القتل وسيلة لتحقيق الغايات، شيءٌ كبيرٌ كالغاية لا يُحقق إلا بالقتل، لا تجعل في قلبك حبًا لأحدٍ إلا نفسك.

كان ذلك الغريب يأتي يوميًا إلى الصبي، كان يزرع فيه كل يوم بُغضًا وكرهًا وكان يأمره بألا يخبر أحدًا بأنه يرى شيئًا، حتى لا يضربوه، كان يسيطر عليه تدريجياً، فقد كان يأتي ومعه ما يحبه الصبي، حتى أصبح يحبه أكثر من والديه، وأسره ذلك الغريب وأصبح عقل الصبي كعجين لين يُشكل على يد ذلك الغريب، الذي كان له قدرات خارقة يراها الصبي، فقد كان يستطيع الطيران واختراق الحوائط، فأصبح قدوة للصبي الذي في يوم من الأيام سأله عن اسمه فقال له:

– أسموديوس.

قارب البلوغ، وأصبح الشر جزءًا منه، تشرب الشر وسيطر على قلبه، إذ جاء يوماً له أسموديوس وسأله عن أبويه، فلما علم منه أنهما نائمان أمره أن يفعل ما قد أخبره به، وكان قد أخبره بـ: "إن أراد أن يملك من القدرات الخارقة مثلما يملك هو، وإن أراد أن يتقدم ويترقى في العالم السفلي مثله فلا بد من قربان يُقدمه وكلما كان القربان غالياً ترقَّ أكثر وأكثر"، فأحضر مادة سريعة الاشتعال وأغرق بها غرفة والديه وأشعل النيران، وفر هارباً إلى مدينة بارسبا.

استيقظ في الصباح أهل القرية ليجدوا أن البيت متفحماً، وساد شعور بالتأكد أن لا ناجين من تلك المأساة، فترحموا على الأب والأم والصبي !

وصل إلى بارسبا ذلك الصبي الغريب، وأشفق عليه أحد التجار الأثرياء، لذلك تبناه ورعاه، وعمل معه في أحد المحاجر التي يملكها ذلك الرجل الذي خصص له أحد البيوت الصغيرة ليأويه، ومنذ ذلك الحين وهو يتكفل بمصاريفه، ومأكله، ومشربه، إلى أن صار شاباً يستطيع الاعتماد على نفسه.

لكنه لا يحل إلا واللعنة تصاحبه، فالرجل الثرى كحال المدينة خسر خسائر مادية فادحة، وظل يخسر إلى أن وصلت ثروته إلى حد معين وتوقفت عنده، لا تزيد ولا تنقص.

وحينما كان في البيت بمفرده لم يكن يتعلم إلا ما يؤهله ليكون ساحرًا ذا قوة معروفة، فكان يتعلم على يد أسموديوس كل ما يخص المهمة المدنسة، وأول ما بدأ يتعلمه كان التنجيم، وعلاقة الكواكب والأقمار بالأبراج، تعلم أن لكل برج يومًا معينًا يكون أصحاب ذلك البرج فيه قليلي الحظ، فلكل برج كوكب حاكم وخطيئة مميتة، فبرج (الحمل) كوكبه الحاكم المِريخ وخطيئته الغضب، وبرج (الثور) كوكبه

عطارد وخطيئته الطمع، وبرج (الجوزاء) كوكبه الزهرة وخطيئته الخداع، وبرج (السرطان) خطيئته الإغواء والمتحكم فيه خشب شجرة الإغواء، وبرج (الأسد) كوكبه الأرض وخطيئته الفساد، أما برج (العذراء) فكوكبه المشترى وخطيئته الكسل، وبرج (الميزان) فكوكبه زحل وخطيئته التكبر، وبرج (العقرب) فكوكبه أورانوس وخطيئته الكذب، وبرج (القوس) فكوكبه نبتون وخطيئته الشهوة، وبرج (الجدى) فكوكبه بلوتو وخطيئته اليأس، وبرج (الدلو) قمره الحكم غانيميد وخطيئته الخوف، أما برج (الحوت) فقمره كاليستو وخطيئته الحقد.

كانت مواقيت تعلمها الشياطين أشد العلم، لكن ثمة مشكلة كبيرة أمامهم، فقد كانت المهمة تقضي بأن يصعدوا إلى تلك الكواكب والأقمار في يوم النحس ويقبضوا قبضة من ترابها ويأتوا بها ليضعوها في قاعدة الكرسي، وبذلك يضمنون أن سوء الحظ واللعنة أصبحتا تلازم أي شخصٍ يجلس على الكرسي.

ولكن المشكلة هي أنهم لا يستطيعون الصعود إلى السماء، لأن الشُّهب الراصدة تكن لهم عقابًا شديدًا، فما كان أمامهم إلا طلب المساعدة من كائنات لا تقل عنهم شراً (الظلال).

بعد أن تعلم التنجيم جاء وقت تعلم السحر، ومزاولته وتحقيق سيطًا وشهرة واسعة به، لأن شهرته ستساعده أكثر في قبول الملك للكرسي، وبالفعل بمساعدة أسموديوس أصبح الساحر الأشهر في الإمبراطورية البابلية، ولكنه حينما أصبح الساحر الأشهر في الإمبراطورية سمى نفسه أقربا، وهي في لغة الإمبراطورية تعني العقرب، وبدأ عهدًا جديدًا.

انقطع عن العمل وكرَّس حياته للمهمة المدنسة وللسحر، الذي جنى منه ثروة ليست بالقليلة، إلى أن جاء اليوم الموعود.

يوم سمع منادي القصر ينادي بتحقق النبوءة، فركض عائداً إلى البيت ليخبر أسموديوس بتحقق النبوءة، كانت لحظة نصر عظيمة لأسموديوس وبني جنسه، فقد تحقق ما كانوا يحلمون به، ومنذ ذلك الوقت وهم عاكفين على صناعة ذلك الكرسي، ولم يظهر له أسموديوس حينًا من الوقت، فبعد أن علم بتحقق النبوءة ذهب إلى مدن الخطايا جامعاً للأحجار، وبعد ذلك ذهب إلى مدينة الظلال طالباً

المساعدة، وبالفعل وافقت الظلال على المساعدة، وصعدوا إلى الكواكب والأقمار في الأوقات المحددة وأحضروا التراب كما طُلب منهم، كانت قاعدة الكرسي الخشبي مجوفة فتم خلط تراب الكواكب والأقمار ووضع في القاعدة وتم تغطيته بجلد ثعبان ضخم، وعلى ظهر الكرسي رُسمت المجموعة الشمسية ومثل كل حجر الكوكب المؤثر عليه بدقة بالغة، جعلت منه تحفة ليس لها مثيلًا.

إلى أن عاد ذات يوماً إلى بيته ليجد أسموديوس ينتظره وبجانبه التحفة التي تأسر القلوب والعقول.. الكرسي.

وجد أنه من المتعيّن عليه أن يذهب إلى بابل في اليوم التالي؛ لفَّ الأقمشة على الكرسي حتى لا يصبه أي خدش، وشد الرحال إلى بابل.

وصل إلى بابل وقد قاربت الشمس على الغروب، نادى قائد القافلة في المسافرين كي يستعدوا لأنهم على مشارف بابل، أطل أقربا برأسه من العربة ليرى هذه المدينة العظيمة مدينة الأساطير، بابل.. بوابة الإله.

على أطراف المدينة أراض كبيرة وكثيرة النخل، وكان هذا النخيل من أكثر الأشياء شهرة لأنه يعتبر مصدرًا للدخل وافر للمدينة، كما كان يستخدم التمر في صناعة الجعة وفي التغذية عائلة في بابل تدعى عائلة (إيجيبي) وهي عائلة من التجار، وقد اشتروا بساتين النخيل حول بابل واستخدموا التمر لصناعة الجعة

وافتتحوا الملاهي الليلية حيث يقدم العبيد الجعة للناس؛ لذلك كانت من أهم معالم المدينة.

مدينة بابل تقع على أرض مستوية مما يسمح للشخص وهو على بعد كبير أن يرى المدينة واضحة ويرى معظم المباني التي فيها، وأول ما وقعت عين أقربا عليه هو برج بابل، تلك الحدائق المبنية على ارتفاع حوالي تسعين مترًا وكانت تأخذ شكل المربع، أكبر المربعات مساحة هو القاعدة ثم تقل المساحة تدريجياً كلما ارتفع إلى أعلى، كانت حقا تحفة معمارية سابقة للعصر، ورأى أيضا الجزء العلوي من القصر والذي كانت شرفاته باللون الأزرق الذي يثير في النفس بهجة ويعطي إحساسًا بالراحة.

مع الاقتراب أكثر ظهر أن هناك خندق مائي يفصلهم عن المدينة وكان مساحته حوالي خمسين مترًا، وكانت هناك جسور حجرية ممتدة وموصلة إلى الجهة الأخرى إلى مدينة بابل، بعد عبور الجسر المائي وجد أقربا نفسه أمام أعجوبة أخرى، سور المدينة، كان سورًا مزدوجًا وكان محيطه تسعة عشر متراً وارتفاعه اثنا عشر متراً تقريبًا، كان يقف كالسد المنيع أمام الأعداء ومحاولات الاعتداء على المدينة، وكانت هناك ثماني بوابات للمدينة أشهرها بوابة (عشتار) ظل أقربا مذهولاً، فقد كانت عبارة عن بوابة ضخمة باللون الأزرق منقوش عليها رسومات لحيوانات، وهذه الحيوانات ترشدهم إلى وسط المدينة. صُنعت البوابة من الحجر الأزرق الذي كان يبهر المارة القادمين إلى المدينة من لهيب الصحراء.

منظر بوابة عشتار أثناء المرور بها كان مهيباً، وكانت رسومات الحيوانات باللون الذهبي تضفي على البوابة سحرًا خاصًا، الطريق أمامهم شديد الاتساع وأقربا لم يرَ في حياته طريق كهذا، فقد كان بجانب أنه مُتسع كان مُعدًا بطبقة من

الحجر المضغوط والذي يرش بالماء لضمان تماسكه، مشي قليلاً ووقف أمام أحد الزاقورات الهرمية مدرجة الشكل وفي أعلاها يستقر المعبد حيث يتعبد الناس ويقدموا القرابين للإله مردوخ، وكانت حدائق بابل المعلقة ظاهرة للعيان من أي موقع داخل المدينة، كانت برجًا شامخًا وسط هذه المنازل، والزاقورات، والأبنية الأخرى.

وصل إلى القصر، وطلب مقابلة الملك لشأن كرسيه الجديد، فطُلب منه الانتظار إلى أن جاءه رجل تزينه الهيبة، وسأله عن سبب المقابلة، فلما علم أنه بسبب الكرسي سمح له بالدخول إلى القصر ودله على مكان الانتظار، إلى أن يُسمح له بمقابلة الملك.

كان قد سمع الكثير عن ذلك الملك، قصص تحكي بطولاته، قوته، شجاعته، ولكنه حُذر من النظر إلى النساء في القصر، فالملك لا يتهاون مع فعل كهذا، فهو غيور ولا يحب من يميل عن طريق الاستقامة، سمع بأن كفة العادل ترجح في نفسه عن كفة الظالم، وهو ليس بالشيء الهين على الملك! ولكن إن تصادم شيء مع مصالحه الشخصية فإنه ظلومٌ لا يرحم.

شعر حينما دخل القصر أنه عَبَر إلى المستقبل، هواء القصر باردٌ منعش وحوائطه مزينة بالرسومات والجداريات التي تمجد عهد نبوخذ نصر، الكثير من الخدم ورغم ذلك لا يحيدون عن النظام، كان وكأنه في مستعمرة نمل.

دقائق لم يشعر بها لتفحصه كل أركان القصر وجاءه الرجل المهيب يخبره أن الملك ينتظره، فحمل الكرسي ودخل إلى حضرة الملك، أحنى رأسه تبجيلاً وتحدث ولم يرفع عينه إلى الملك وقال:

- صاحب العطايا، جئتك بكرسي آمل أن ينال أعجابك.

وكشف عنه الغطاء؛ فذهل الحاضرين وأهمهم الملك، دقائق من الذهول والصمت، وبعد الكثير من الصمت تحدث الملك بتلعثم على غير عادته، فقد عُرف عنه الرزانة، والثقة، والقوة:

– عيني لم تر أجمل منه أو أدق صنعاً.

ولم ينتظر إذ نادى بصوت عالٍ على (أريوخ)، فدخل الرجل المهيب وهو رئيس الشرطة في مدينة بابل، قال له الملك مشيراً إلى أقربا:

– أكرم مثواه وأعطيه من الذهب والفضة ما يكفيه.

انصرف أقربا ولم يرفع رأسه احتراماً لحضرة الملك، وكان ذلك يوم سعده، فقُدم له من الطعام والشراب ما لذ وطاب، ونسي ما قد رآه من تعب في حياته السابقة، وظن أنه مَلك الدنيا.

مدينة الظلال

ما أشق تلك المهمة، كذلك فكر وهو يسير بعدما انتهى من مدن الخطايا، كان قد جمع الاثنا عشر حجرًا في حقيبة واحدة ومعهم جذع شجرة الإغواء، ولم يبقَ أمامه سوى مدينة واحدة فقط، لكنها مدينة لا يشبهها مدينة أخرى، الشر المطلق، عالم غريب لا يمكن تخيله، وإن تخيلته فلن يشابه الحقيقة حتى في جزء بسيط، لأن الواقع أغرب من خيالنا الضحل.

وقف أمام المدينة، تردد كثيراً لأنه يعلم مدى صعوبة تلك المدينة تحديدًا، فتلك المدينة لا تتبع إبليس كبقية المدن السابقة، فلتلك المدينة ملك مستقل، ذو قوة رهيبة، وهناك حلان ليؤدي لك خدمة ما، فإما أن تستأذنه أو تحاربه ومن ينتصر يسيطر على الآخر، ولكن الحل الأول كان أقرب للتحقيق.

عالم غريب ذلك الذي هو مقبل عليه، فهو عالم ثنائي البعد، طول وعرض فقط، ليس لسكان هذه المدينة ارتفاعًا، والمدينة وهو يقف أمام بابها ليس لها ارتفاع هي الأخرى، كانت تلك المدينة الحد الآخر الذي لا نراه، فالحياة لديهم تختلف كلياً عن الحياة التي نعيشها، ليدخل تلك المدينة يحتاج إلى التشكل على تلك الهيئة ثنائية البعد نفسها، وما أسهلها مهمة بالنسبة إليه، فليته حينما يتشكل ينهي المهمة ولا يضطر إلى الدخول إلى ذلك العالم البغيض، فقوته داخل تلك المدينة معدومة، وبأسهم عليه شديد.

فكر أن لا مفر من إتمام المهمة، فتشكل على هيئتهم وتراءى له عالم غريب، لم يتوقع أنه بهذه الغرابة، وعلى بوابتها العملاقة لافته أحدثت زلزالًا من الرهبة داخله: "مدينة الظلال ترحب بالملاعين".

مدينة الظلال آخر مدن العالم السفلي التي سيدخلها، فالظلال هي كائنات ثنائية البعد تقتفي أثر أي شيء، لا يوجد مكان في الكون ليس لهم فيه قدم، فقوتهم في العالم السفلي لا تضاهيها قوة، هم ملاعين، يقتفون أثر أي شيء وينتظرون حتى تحين اللحظة المناسبة، ثم ينقضون على الروح ويلوثونها بالشر.

فداخل كل منا عدة شخصيات، لكن في العموم هناك شخصيتان، شخصية تبحث دائماً عن الخير، وشخصية سيئة تحث على الشر في كل الأوقات، فحينما ينام الشخص يخرج منه ظله وهو ما يمثل الشر داخله، يخرج باحثاً عن وجهته، عن مبتغاه إلى أن يصل إليه، مدينة الظلال.

يجتمع في تلك المدينة أشد الموجودات شرًا، فحينما ترى شخصًا فتشعر وكأنكما تقابلتما من قبل وهو أول لقاء لكما، فمن الراجح أن ظليكما تقابلا من قبل في تلك المدينة اللعينة.

لهذه المدينة قصص يتناقلها الجن كثيراً، فمنهم من يقول: بأنه حينما يموت البغيض في الدنيا تذهب روحه متمثلة في ظله إلى تلك المدينة لتحبس فيها إلى الأبد، فملكها يخطط إلى احتلال الكون وتحويله إلى ظل، وتكون إمبراطورية الظل، ومنهم من يقول: إنه حينما خلق الله النور خلق في المقابل الظل، وسكنوا السماء الدنيا وما فيها من كواكب، وكان كل شيء مسخرًا لهم، لكنهم أكثروا الفساد والقتل، وحينما خلق الله الجن في الأرض حدث ما حدث، وأضل الظل الجن ولعنوا إلى الأبد، لكن كل هذه الحكايات تروى ولا يعلم أحد الحقيقة إلا الله.

هو الآن متشكل على هيئتهم، وتراءى له ما كان محجوبًا عنه، عالم أخر، ليس كما كان يتوقع، النظر إليه من البعد جعله يرى مبانيًا وأسوار للمدينة، وبوابة عظيمة الطول والعرض، كانت مفتوحة على مصرعيها، فقرر الدخول- اقترب منها وهو

يخترق الظل قبل التشكل- ولكنه الآن يتحسس البوابة والأسوار فلا تخترق يده شيئًا بل تصطدم به.

دخل من بوابتها العظيمة، كانت الرؤية ضبابية، رمادية اللون، والمباني سوداء داكنة، لا تتبين لها أشكال، فقط كتلة طويلة من الظل، بضع خطوات داخل المدينة والباب من خلفه أغلق، لم يعد هناك فرصة للرجوع، هو الآن حبيس تلك المدينة اللعينة، شد انتباهه هسيس رياح في أذنه، وتخلل ذلك الهسيس صوت يتذكر اسمه، ولكن لا أحد حوله غير الرؤية الرمادية.

دب الرعب في نفسه، القلق وسرعة التنفس عوامل ساعدت على خوف رهيب، هو يعلم مدى قوتهم، ويعلم أيضاً أنه حبس داخل المدينة، وأنه لن يخرج حتى يأذن له الملك بالخروج ويفتح له باب، سار في الطريق الشبحي ولم يقابل أحدًا حتى الآن لكنه كان يعلم أنه مراقب بهسيس الرياح المختلط بمن ينادي عليه، لكنه لم يلتفت، وفجأة ومن العدم ظهر أمامه ظل، كتله مظلمة ليس لها ملامح، يسأله عن مراده، ففزع وهم بالركض ليصطدم بظل آخر، وفجأة علم أنه محاصرًا من جميع الاتجاهات، وبدأت الظلال حوله بإحاطته، فتذكر ما يشاع عن هذه المخلوقات، فهم يقومون بالتعويذات عن طريق الظل، تجد شخصًا يسير والظل في لحظة قد هيأ له أن هناك سكين في رقبته، فيرجئها الشخص إلى الصدفة، وبعد عمر طويل أو قصير يموت ذلك الشخص.

أو من يشنق أو من يقطع جزء من جسده، فهذه هي تعويذاتهم القاتلة، فسألوه عن نفسه وعن سبب المجيء، فتردد قليلاً، فإذا بهم يتشكلون على هيئة حراب وسكاكين، ومنهم من بدأ يتشكل على هيئة حروف، وهنا أدرك الكارثة، فهم بصدد تحويله إلى ظل إلى الأبد، وسيكون حبيس تلك المدينة إلى الأبد، فتحدث

وأفلت من العقاب المريع بأن طلب مقابلة الملك، وأنه هنا رسول إبليس، فقال أحد الظلال له:

– لك هذا يا غريب.

اقتادوه إلى الملك، الظل العظيم، سأله عن مراده، فقص عليه أن النبوءة قد تحققت وأنهم جمعوا الأحجار من مدن الخطايا، وأنه أحضر جزع شجرة الإغواء، وأنهم بصدد صناعة الكرسي، فسأل الملك عن دور الظلال، فأخبره بأنهم سيحتاجون قبضة من كل كوكب في يوم سوء حظه، كما أن لهم دورًا آخر، فسيحتاجونهم في تلويث الجالسين على الكرسي بالشر المطلق، وسكت كدليل على الانتهاء.

فكر طويلاً ملك مدينة الظلال، أيقبل مساعدتهم، أم لا؟ لكنه يعلم أنهم ملعونون، وهم على هذه الهيئة إلى يوم معلوم، وأن فرصته في توسيع إمبراطورتيه بالتعاون مع الشياطين في صناعة ذلك الكرسي الملعون، فأخبره إنه له ما طلب، وفتح الباب وأذن له بالانصراف.

فخرج مزهواً بنصر عظيم، كان يعلم أن الظلال تقدر على هذه المهمة، وأنهم سينجزونها في أسرع وقت ممكن، وهو ما حدث، فبعد أيام قليلة من الانتظار وجد ما منى به نفسه، فقد جاءه أحد الظلال رسول من الظل الملك، ومعه قبضة من كل كوكب وعدة أقمار، جمعوها في مواقيت سوء حظها، وهي مواقيت يعلمونها أشد العلم، أعطاها له وبهذا كان الكرسي مكتمل الأركان، وجاهز ليدمر الإنسانية.

أبرز الشخصيات التي ملكت الكرسي

نبـوخذ نـــــصر

جلس الملك على الكرسي اللعين، واستقر ظاهرياً، أما داخلياً فقد حدث الكثير من التغيرات التي ستلقي بظلالها على حياته فيما بعد، وبالحديث عن الظلال، فقد رأى في غفوته أنه في مكان غريب شعر وكأنه على فوهة بركان ثائر، ولكنه وسطة ذلك الجحيم رأى تحفته المحببة، الكرسي وسط الدخان والنار، وما أكثر الرماد حول الكرسي!

نظر إلى سماء تلك المدينة فوجد أن قمرها أحمر اللون، وما كان في سماء تلك المدينة إلا كوكب المريخ، أعاد نظره إلى ما حوله ولكنه وجد أحدهم يجلس على كرسيه فغضب كثيراً؛ فالكرسي شرفه لا يمسه أحد سواه، لذلك اقترب من ذلك الغريب لكن أرعبه ألا ملامح له، وكأنها مُسحت، أو كما فهم فيما بعد حينما حاول الإمساك به وإبعاده عن الكرسي أنه ظل، لكن الظل اختفى في الحال، أو هكذا خيل إليه.

سيطر عليه الظل ولوث روحه بخطيئة الغضب، ولكنه سمع همسًا في أذنه يقول: "قربان من دم شاب لتجنب لعنة السبت"، وهبت رياح شديدة عصفت بالرماد حول الكرسي، نظر إلى السماء فإذا بالكوكب الحاكم يقترب منه بسرعة مرعبة، حاول القيام والركض هرباً لكنه لم يستطع القيام من على الكرسي، اقترب الكوكب إلى أن شعر أنه يبتلعه!

استيقظ أقربا في الصباح، بدد عمق نومه صراخ خرق أحلامه السعيدة، فتح عينيه فلم يرى النظام الذي كان يرى، تبدل الحال إلى الفوضى العارمة، هدوء القصر المميت تحول إلى حالة من الضجيج المزعج، صراخ مَن في القصر اختلط مع

ركض وصراخ العامة من الشعب خارج القصر، وأثناء تلك الفوضى تهادى إلى سمعه ما سبّب تلك الفوضى، فإمبراطورية بابل في حالة حرب.

تعجب من ذلك التغير السريع الذي طرأ، لم يفهم ماذا يحدث ولم تترك له الأحداث فرصة للتفكير، فكل شيء حدث بسرعة، حالات من الإعدام طالت رموزًا كبيرة في الجيش البابلي، وكانت الذريعة أنهم رفضوا تنفيذ الأوامر في حالة الحرب، خاف أقربا على نفسه، خاف أن تطوله تلك الإعدامات، لكن القدر أمهله قليلاً من الوقت.

قاد نبوخذ نصر جيشه إلى العدو، مدينة أورشاليم، قاد جيشاً لم يعرف أحد فيهم سبب تلك الحرب، ولكن وقع ما لم يفهموا، فالملك استيقظ في الصباح معلناً تلك الحرب، وها هم في الطريق إلى الدمار الشنيع.

لم يمضي الكثير من الأيام حتى هُدم سور المدينة، وعاثوا في أورشاليم خراباً وقتلاً، ومن تبقى منهم على قِيد الحياة حكم عليه بالموت البطيء، تم أسر عددًا كبيرًا منهم ليقوموا بالأعمال الشاقة في الإمبراطورية البابلية.

عاد الملك إلى الإمبراطورية مزهواً بنصر ساحق، ولكن حتى تلك اللحظة لم يعلم أحد سبب تلك الحرب ولكن لا تهم تلك الأسئلة المرهقة للعقل الآن، فالوقت وقت الاحتفال.

ولكن الملك حينما عاد إلى الإمبراطورية اتخذ قرار لا يقل غرابة عن قرار الحرب، فقد قرر إعدام القادة المشاركين في تلك الحرب، مدعي أن الأمور لم تسير كما أراد، وأن التقصير واضح، الإعدامات طالت كل القادة، حتى إنها وصلت إلى من أراد أن يفهم السبب وراء تلك الإعدامات، كان يصرخ فيهم أن القرار قراره، وأصبح دستور الإمبراطورية أن من يعترض عليه مصيره الإعدام.

وسيق الأسرى إلى بابل، ضحايا حرب مجهولة الأهداف والدوافع، يتناوب عليهم القهر والذل، والخوف من المجهول، كانوا يشعرون أنهم على مشارف الجحيم، وقد صدق حدثهم.

صدمتهم عظمة المدينة، ذهلوا من سور المدينة العملاق، ومن برج بابل المذهل، لكنهم ليسوا في رحلة سياحية، كانوا على يقين، وكان من ضمن الأسرى لصًا يدعى (بنيامين)، كان لديه قدرة كبيرة على السرقة وإخفاء المسروقات، يتخلل شخصيته بعض الخبث، مزعج، ولكن رغم ذلك كان بسيطًا، وفيًا، ومتواضعًا، كان ذكيًا بما يكفي ليُحدث تغيير في الأحداث.

عُرض الأسرى على نبوخذ نصر ذلك الغاضب، الذي يحرك يداه كثيراً أثناء الحديث، ومن فمه يتطاير رذاذ من فرط الغضب. كثير من الأسرى حكم عليهم بالإعدام، ومن ابتسم له الحظ سُجن، ومن كان ذا حظ أوفر نُقل ليعمل في قصر الملك.

تخبطت الإمبراطورية كثيراً، فالقرارات المُتخذة بدافع الغضب لا تدر سوى المتاعب، وتحول الملك الحكيم ذو السلطان إلى وحش بلا عقل يحركه غضبه، فدخل الكثير من الحروب بلا دراسة متأنية، وخسر الكثير من الجنود، وبالتالي التأييد من شعبه، وأصبح عبئًا بعدما كان متكأ، وسبحان من يغير الأحوال ويُقلِّبها وله في ذلك حكم!

مرت الأيام على الأسرى كسنين طوال، وأصبحت حياتهم في حكم المنتهية، وكان بنيامين من ذوي الحظ الأوفر من الأسرى، فقد كان يعمل في القصر خادماً، كان مسؤولًا عن نظافة أماكن قضاء الحاجة، كان عمل يحمل الكثير من الإذلال هكذا كان يحدث نفسه، ولكنه كان يمني نفسه بشيء لم يسبقه أحد في التفكير فيه.

استمر الوضع كما هو أيام عدة، يجمع الفضلات ثم يذهب بها بعيداً ويحفر في الأرض ثم يلقي ما في يده ومن ثم يردم عليها التراب، هكذا حتى جاء في أحد الأيام ومعه أحد أصدقائه يدعى (يعقوب)، تحدث مع الحراس أنه متعب اليوم ويحتاج إلى من يعاونه في العمل، فسمح له الحراس بشرط أن ينجز الأعمال سريعاً، فهرول هو وصديقه خادعين الحراس بنيتهم في إنجاز العمل في أسرع وقت.

جمع الفضلات كعادته، ثم ذهب إلى أحد الخدم في القصر وتحدث معه أن قال إن المرض أرهقه هذا اليوم، وإنه لن يقدر على العمل وحده، وطلب منه المساعدة فوافق الخادم، وخرج مع بنيامين يحملا الفضلات وترك يعقوب في القصر مختبئًا.

ابتعد بنيامين بالخادم أقصى نقطة يمكن الوصول إليها، مدعياً أنه يدفن الفضلات في مكان معين خشية أن يتعثر أحدهم في حفرة من الحفر ويسقط في الفضلات، حينها سيكون عقابه الموت. سارا معاً إلى أن وصلا إلى المكان المرجو، فأخرج بنيامين من حقيبته فأسًا وبدأ يضرب في الأرض، "وكلما زادت الحفرة عمقاً كان أفضل" هكذا قال بنيامين للخادم المتعجب من عمق الحفرة.

في أثناء ذلك ظل يعقوب مختبئًا في أحد الغرف، كان شديد الخوف من أن يُكشف، لعن نفسه لقبوله معاونة بنيامين على ذلك الجنون، فقد كان ضعيف الشخصية سهل الانقياد، شهواني بعض الشيء، لذلك حذره بنيامين من التهور، لأن العاقبة ستكون موتهما، ولكنه برغم ذلك كان مخلصًا، طيبًا، وفيًا إلى أبعد الحدود، فاعتمد عليه بنيامين.

انتهى من الحفر وحملا معاً الصندوق وأفرغا ما فيه، هنا توقف بنيامين عن الحركة محدقاً في الفراغ، وكان تنفسه غير منتظم، قلق الخادم من أن يموت فطلب منه أن يستريح على أن يكمل هو العمل بأن يردم الحفرة، فاتكأ بنيامين على صخرة

وبدأ الخادم في العمل.

لكن الخادم لم يتم العمل، لأن الشخص الرابض وراءه أخرج من حقيبته حبلًا متينًا، وانقض عليه يلف الحبل حول عنقه ويضغط بشدة، قاوم الخادم ولكن بنيامين كان أشد حسماً، ضغط بقوة أكبر حتى فارق الخادم الحياة، حمله بنيامين وألقاه في الحفرة مع الفضلات ثم هال عليه التراب.

عاد إلى القصر بعدما أتم أول ما خطط له، عاد وحده ليوهم الحراس الذين سمحوا لصديقه بالدخول لمعاونته بأن صديقه ودعه وعاد من حيث أتى، دخل القصر ومن ثم إلى الغرفة التي يختبئ فيها يعقوب، فالمهمة على وشك الانتهاء.

سكون الليل كان يسيطر على القصر، وكان الحراس الليلين في حالة من الكسل والخمول كعادتهم، واستغل بنيامين تلك النقطة لصالحه، كما استغل نقطة أخرى وهي أن القصر مليء بالخدم والحراس، وفي بعض الأحيان لا يتعرف بعضهم على

بعض، فتنكر في هيئة عامل يُصلح الكراسي، وأمسك في يده حقيبة بها ما سيستعمله في ذلك العمل، ثم ذهب إلى الحراس أمام غرفة الملك، وأخبرهم بأنه أتى ليُصلح بعض الأشياء في غرفة الملك، وأنه جاء ليلاً حتى يتثنى له العمل، فسمحوا له بالدخول، لكنهم حذروه من إزعاج الملك.

دخل يبحث عن مراده، يخشى أن يتنفس فيسمع الملك هسيس نفسه فيصحوا، حينها ستكون نهايته الحزينة، لكنه سريعاً وجد ما كان يبحث عنه، مشي على أطراف أصابعه، خشى أن تطقطق مفاصله فيُفتضح أمره، لكن الستر حال دون ذلك.

وصل إلى ما يبحث عنه، ثم أخرج من حقيبته القماش والقطن وقام بلفه على هدفه حتى تغير شكله تماماً، ثم حمله وخرج إلى الحراس يخبرهم أنه سيحتاج الكثير

من العمل لذلك سيأخذه إلى أحد الغرف الفارغة والبعيدة ليعمل دون إزعاج الملك، فوافق الحراس بشرط إنجاز لعمل سريعاً، فحمله وذهب إلى الغرفة التي يختبئ فيها يعقوب، دخل عليه وأخبره ببقية الخطة التي تقضي بخروجهم من القصر ومعهم ذلك الشيء الذي لم يكن سوى كرسي الملك نبوخذ نصر.

جلس بنيامين على الكرسي الذي تغير شكله كثيراً بعدما لف عليه القطن والأقمشة، وخرج من الغرفة يعقوب باكياً، إلى أن قابل أحد الخدم وطلب منه المساعدة، لأن صديقه الوحيد على وشك الموت إن لم يره الطبيب، فوافق الخادم على المساعدة أملاً في لحاق ما يمكن لحاقه.

هبطا بالمريض إلى الطابق السفلي حيث الباب، وصلا إلى الباب ويعقوب مازال ينتحب من شدة البكاء، شاهده الحراس ولكنهم منعوه من الخروج، فانتحب أكثر وتوسل أكثر وأكثر، فشعروا أن الوضع خطيرًا فسمحوا له بالخروج. كان الوقت متأخرًا، ولم يكن هناك أطباء في القصر سوى طبيب الملك الخاص والذي لم يكن مسموح له فحص أحدًا سوى الملك، وكان طبيب العامة على أطراف المدينة، مما يستلزم عبورهم بوابة عشتار، وصلا إلى البوابة، لكن الحراس عليها كانوا أشد حزماً ممن كانوا في القصر، كان الوضع أقرب إلى الفشل، لم ينجح انتحاب يعقوب في إقناعهم، حتى توسل الخادم لم يفِ بالغرض، هنا لجأ اللص إلى حيله جديدة، كان مغمض عيناه يتألم بأنين، وحينما وجد أن كل شيء على المحك بدأ بالغرغرة والتشنج وأخرج من فمه رغوة بيضاء كان الوضع سيئًا جداً، هكذا ظن الحراس، فسمحوا لهم بالخروج، وبعد الخروج أصبح كل شيء سهلًا، أنجزت المهمة بنسبة كبيرة.

كان هناك عقبة وحيدة متبقية، الخادم، بعدما خرجوا من المدينة وقبل الوصول

إلى مكان الطبيب ادعى يعقوب أنه يريد قضاء حاجته، وطلب من الخادم رعاية صديقه لحين عودته، فذهب وراء أحد الصخور الكبيرة يبحث إلى أن وجد ضالته، في المقابل فتح بنيامين عينيه بصعوبة وتحدث مع الخادم بصوت خفيض، لم يتبين الخادم قول بنيامين فمال عليه ليسمعه، فإذا بصخرة تهوي على رأسه محدثة أضرار جسيمة، وقع الخادم يلفظ أنفاسه الأخيرة، فقام بنيامين ورحل هو وصديقه يعقوب إلى حيث تمنوا، رحلوا وتركوا الخادم كما هو لم يدفنوه، فلم يكن هناك متسع من الوقت، رحلوا حاملين الكرسي إلى وجهته الجديدة.

استيقظ الملك في الصباح من نومه غير المريح، استيقظ محمر العينين يشعر وكأن أنفه أصبح أضيق والهواء لم يعد يدخل منه، كعادته منذ أن اقتنى الكرسي والجيوب الأنفية أصابها خلل، جال بنظره في الغرفة، لكن عقله من غير وعي أخبره أن هناك شيء يختلف، لم يتنبه بعد، فآثار النوم لم تذهب بعد، جلس على سريره وحيدًا، فزوجته من بعد الكرسي هجرته، فطباعه الغاضبة لم تبقِ أحدًا جانبه سوى المنتفعين، وما أكثرهم! لكن العائلة لم تعد كما كانت.

أصبح الصداع شيئًا عاديًا، شعر وكأن رأسه سينفجر من شدة الألم، لاحظ أيضًا أن الضغط حوله لم يعد كما كان في السابق، كان يشعر كأنه يعيش في عالم آخر غير الذي كان فيه، أحسَّ كأنه تحت الماء من شدة الضغط، كل هذه الأمور جعلت مزاجه يزداد سوءً.

كل هذه التغيرات حدثت بعد الجلوس على الكرسيِّ، هنا انتبه إلى الفاجعة! فالكرسيُّ لم يكن في مكانه؛ ثارت براكين الغضب، وأذابت بلهيبها العقل، ودخانها الكثيف أعمى العين، فلم يعد للحكمة مكان، ولا للصواب موضع، نادى غاضبًا كأنه وحش يزأر على الحراس، "لم يرَ أحدنا الكرسيَّ" هكذا قالوا، فعقلهم لم يسعفهم

لإجابة، ولم يتوقعوا أن يكون الأمر بهذا السوء.

حضر على الفور (أريوخ)، وأمر الحراس أن يقتفوا أثر الكرسيّ، وأن يبحثوا في كل الأماكن حتى يأتوا به، كان يعلم أنه إنْ لم يجد الكرسي سيُعدَم، فهو رئيس الشرطة، ومقرب من الملك ويعلم طباعه الغاضبة، كان يريد إزاحة الأمر عنه، لذلك أمر أحد الحراس بأن يستدعي أقربا؛ لعله يصل إلى الكرسيّ بسحره، أو أن يقع عليه العقاب بدلًا منه.

أحد الحراس الليليينَ تذكر ما حدث وأتبع قَائِلًا:

- كأنه الخادم المريض!

التفت إليه من كان في حضرة الملك متعجبين، وسأله أريوخ متعجبًا:

- ماذا تقصد؟

فتلى عليهم ما حدث ليلة أمس وسط نظرات غاضبة من الملك الذي احمرَّ وجهه، وبرزت عروقه، وكانت النتائج شبه متوقعة، انتظر حتى فرغ الحارس من الحكي، وأمر أريوخ بأن يتَّبع أثر ذلك اللص اللعين، ثم التفت إلى الحراس الليليين وأمر بإعدامهم جميعًا، لم يتفوَّه أحدٌ بكلمة دفاع خشيةَ المصير المماثل، هنا دخل أقربا مرتجفًا، فقد علم أن الأمر خطيرًا، وأن الأمورً لن تسير كما يرجو.

التفت الملك إليه ولم تتغير نظرة الغضب والعدوانية، فزادت صعوبة الموقف على أقربا ولم يتكلم، فبادر الملك بالحديث:

- أمامك يوم وتأتي بالكرسي.

وانتهى الحديث عند ذلك ولم تنتهِ ثورة الملك، ضيق الوقت أجبر أقربا على

الركض حتى وصل إلى غرفته التي كانت تعجُّ بالطعام والشراب، جهز ما سيحتاجه في عملية الاستحضار، مارس الطقوس وانتظر عدة دقائق ولم يحدث شيء، ساعة ثم ساعات ولا شيء على غير العادة! شعر أن الوضع يسير نحو الأسوأ، قارب اليوم على الانتهاء وهنا تأكد أن الوضع مفجع.

لم ينم تلك الليلة المشؤومة، نَسِى النعيم الذي كان يعيشه، تراءى له الجحيم المقبل عليه، كان على يقين أنهم تخلوا عنه، فهم لم يكونوا أصدقاءه كما زعموا، بل استغلوه أسوأ الاستغلال، وها هو يطلب الإذن بالدخول إلى الملك.

وقف أمام الملك وعلامات الأرق تبدو عليه، وبتوتر لا يخفى على الحضور، فالساحر ذو القوة الكبيرة يقف في موقف لا يتمنى أحد مثله، وبصوت مرتجف بالخوف والتعب:

– أطلب مهلة جديدة إلى الصبح، وليس الصبح ببعيد.

استشاط الملك غضبًا وقال:

– إنك لساحر محتال، ولا أستبعد أن تكون شريك ذلك اللص.

حاول أقربا استدراك الأمر وإنقاذ الموقف المتجه صوب التأزم:

– سيدي هناك...

قاطعه الملك ذو العينين الحمراوين والعروق النافرة:

– حينما أتحدث لا أحد يتحدث معي! أنت شريكه لا شك، فهناك أحد الملوك سمع عن الكرسي فعرض عليك جائزة إن أحضرته إليه، فاتفقت أنت وذلك اللص على سَرقته.

ولم ينتظر رد أقربا إذ نادى بصوت جهور:

- أريوخ.

حضر رئيس الشرطة على الفور قائلًا بإجلال خشية غضبه العاصف:

- أمرك مولاي.

استطرد الملك:

- خذ ذلك الساحر اللعين وعاقبه بما يُعاقب به السحرة المخادعين.

"كانت جحيمًا مستعرة" هكذا تناقل الشهود وصف النار التي أُعدَت لأقربا، ذلك الساحر الشهير، ووقف الذين تَمَنوُا مكانه بالأمس يضربون كفًا على كف، ناعتين إياه بذي الحظ العسر، متعجبين من تقلب الأحوال، بل إن أقربا هو الذي يتمنى مكانهم الآن.

النار عبارة عن أخدود مشتعل وفي بداية ذلك الأخدود طريق مائل ممهد، يجلس الشخص المُعاقب على كرسيٍّ معدني أسفله عجلات، ويدفع أحد الحرس ذلك الكرسي إلى الطريق المائل الممهد؛ ليتجه الكرسي بالضحية إلى الأخدود الناري، ولضمان موت الضحية كان يوجد في نهاية الأخدود حائط حجري يمنع الكرسي من مواصلة الحركة؛ ليُبقيه في النار مشتعلًا.

أُجلِسَ عَلى الكرسي ذلك المرتجف، كُبل بالقيود وأيقن ألا مفر من مصيره، ولكن الأمل الخداع ظل يراوده بأن يظهر (أسموديوس) من الفراغ وينقذه، ظل يتمتم، يستنجد، وكلما مرت دقيقة تناقص أمله حتى وجد نفسه على الكرسي المعدني أمام النار يستعد أحد الحراس لدفعه، سيُحرق حتى يصير رمادًا ويُنثر في الهواء، يا لها من عقوبة قاسية!

تلقى الحارس الإشارة من الملك، ضُبِطَ الكرسي المعدني باتجاه النار ودفعه الحارس دفعة بسيطة، تحرك الكرسي، وتحرك أقربا إلى نهايته.

"لحظات قليلة" هكذا وصف الشهود ما حدث بين الدفعة واحتراقه، لكنها لم تكن لحظات عليه، بل عمر آخر عاشه بينهُما. تذكر كل ما فعله من احتيال، تذكر الرجل الثريّ الذي اعتنى به، وتذكر أهم لحظات حياته حينما أحرق أبويه، وأيقن أن مستقبل الشخص ماضيه.

(نبوخذ نصر) كان مشغولَ البال، يبحث عن الكرسيّ ويأمل أن يجده جنوده، وأثناء مشاهدة النار خطر بباله أن يكون الكرسي ما زال في بابل، وأن اللص خدعهم وأوهمهم بأنه خرج من المدينة، لذلك أمر أريوخ أن يبحث أيضًا في المدينة، وأن يعذب كل من يشك في أمره؛ حتى يعترف أحدهم و يأتي بالكرسي.

بدأ يشعر بالاكتواء، بدأت النار تأكل جسده، عَلى رغم أنه لم يصل إليها بعد، ولكن شدتها أوصلت الحرارة إلى مسافة بعيدة، اقترب أكثر وبدأ الاحتراق وبدأ معه الصراخ، صراخ أقربا كان مزعجًا كما كان صراخه فِي السابق، ولكنَّه هذه المرة لم يكن يحتال، بل كان يصرخ ألمًا.

لم تقم عاصفة ثلجية لتطفئ النار وتنقذ أقربا، ولم يأتِ زلزال مدمر يبتلع الملك وحاشيته، ولم يحدث أي شيء على الإطلاق، حتى أن صراخه هدأ، وسكن كل شيء، وتأكدوا من موته، وتناقل الشهود خبر موت صانع الكرسيّ -هكذا ظنوا- ومات معه السرُّ في كيفية صناعة هذا الكرسي المثير للشهوات.

بأمر مِن نبوخذ نصر بُحث عن الكرسيّ في بابل، وكبرت دائرة البحث، وكلما مر يوم زاد عدد المشكوك فيهم، عاث جنوده فسادًا، قُتل الآلاف من التعذيب ولم يظهر الكرسيّ، وكَانت حالة نبوخذ نصر من سيءٍ لأسوأ، وَحالة الإمبراطورية

العظيمة يُرثَى لَهَا أيضًا، لم يعد هناك مأمن في بابل على مال أو ولد أو أي شيء ثمين، كأن اللعنة حلت على الإمبراطورية، لعنة فقدان الكرسي.

مرت الأيام ولا بوادر أمل على إيجاد الكرسيّ، والملك أصبح في حالة لا يُحسَدُ عليها، كان أريوخ يأتي له يوميًا؛ ليخبره بما توصل إليه، وكانت الجملة المعتاد سماعها "لا جديد حتى الآن".

وذات يوم دخل عليه ولم يجده، بحث في كل أركان الغرفة ولا أثر للملك، أسُرق كما سُرق الكرسي؟! وجده في ركن في حديقة القصر، كانت لحيته طويلة، وأظافره لم تُقلّم منذ أن فُقِدَ الكرسي، أشعث يجلس على أربع، فظن أريوخ أنه يبحث عن شيء سقط منه، فاقترب ليساعده وهمَّ ليتحدث إليه ولكن صدمة ما حدث أفقدته القدرة على الكلام، فالملك أحنى رأسه وأكل من العُشب! وتيقن أريوخ أن الملك أصابه الجنون، ولم يمضِ كثير وقت بعد هذه الحادثة حتى مات الملك.

نُثِرَ رماد أقربا في الهواء

ومات نبوخذ نصر مجنونًا

وظل الكرسي مختفيًا...

بنيـــــامين

ذات يوم مشمس وبعد مرور الأيام، تصلب أهل مدينة القدس من مفاجئة غير متوقعة، فهم يعلَمون جيدًا أن الذاهب لن يعود، ولكن ما حدث ذلك اليوم خالف المألوف، فهناك من ذهب إلى الجحيم وعاد صحيحًا.

فبعد رحلة لا تخلو من الأخطار دخل بنيامين ويعقوب مدينة القدس من جديد، كانت مدينة مهتوكة الستر أسوارها مهدمة، ولم تتعافَ بعض البيوت من الغزو البابلي بعد، فمنها مَا كان مُهدمًا، وبعضُها كان مُتفحِمًا، والبقية به بعض النتوق نتيجة هجوم الرماة البابليين، ولحسن حظِهما كان منزلهما به القليل من الأضرار بحكم بعده عن البوابة الرئيسة للمدينة العامة، أصحاب الفضول هرعوا إليهم يسألونهم عن الوسيلة، فكانت إجابتهم مختصرة وحاسمة أنهم استطاعوا الهرب من الأسر، وأُغلِق الأمر على هذا ولم يُفتَح مرةً أخرى.

دخلا البيت ولم يدعُ بنيامين لنفسه فرصة ليستريح، إذ همَّ بنزع القماش من على الكرسيّ، ووقف يتأمل مليًا، كانت هناك شهوة غريبة تُحركه، كان يجهل سبب حبِّه لذلك الكرسي، لكنه لم يرهق نفسه تفكيرًا وقرَّر الجلوس ولم يعد بعد ذلك شيء كما كان.

كان بنيامين برج (الثور)، ولما جلس على الكرسيّ غفى قليلًا، فوجد نفسه في مدينة غريبة لم يطأها قط، ووجد الكرسيّ أمامه في تلك المدينة، فهرول إليه وهمَّ بالجلوس، فخُيل إليه أن ظله يتحرك، وقتها لوثت الظلال رُوحَه بخطيئة الطمع، سمع بهمس: " قربان من دم شاب لتجنب لعنة السبت"، وبعدها عصفت الرياح منذرة بالشؤم، فلما نظر إلى السماء إذا بكوكب عطارد يقترب منه، قام وركض

ولكنه أصرَّ على أن يحمل الكرسي معه، ركض والكوكب الحاكم يقترب كثيرًا إلى أن نظر خلفه ليرى أنه يبتلعه، فاستفاق من غفوته.

كان الجوع يفتك بيعقوب فدخل إلى بنيامين؛ ليسأله إن كان يريد شيئًا معينًا ليأكله، لكنَّه حينما دخل عليه وجده نائمًا على الكرسي، فأشفق عليه ولم يوقظه، وبَدَأَ يحضر الطعام وحده.

كان بنيامين مغشيًا عليه إثْرَ الدوار الذي أصابه، زادت سرعة ضربات قلبه وتصبب عرقًا، ولم تنتظر عليه الظلال كثيرًا، إذ لوثت روحه بصفة مقيتة ستقوده إلى الهلاك ألا وهي الطمع.

عاد يعقوب ليجد صديقه مستيقظًا، وعلى وجهه علامات الإرهاق الشديد -هكذا ظن يعقوب- فوضع الطعام على الطاولة وجلسا ليتناولاه، أكلا معًا وبعد قليل شبع بنيامين، لكن بنيامين لم يكف عن الأكل، كان يأكل بشراهة أجبرت يعقوب على الحديث قائلًا:

- ألم تشبع؟

فأجاب بنيامين مصطنعًا:

- لا، لم أشبع بعد.

فتعجب يعقوب وقال:

- ولكن ملامح وجهك تقول غير ذلك، عيناك تفضحك.

فرد بنيامين بتحفظ:

- أأكذب؟

فلم يُعَّقب يعقوب لكنه في قرارة نفسه كان يتلمس التغيير في صديقه، كان بنيامين كأرض رملية لا تشبع من الماء حتى وإن سُقيت، وما كان وراء ذلك التغيير إلا ما غيَّر النفوس إلى الأسوأ، وما حوَّل البشر إلى حيوانات متعطشة للأذى!

في الصباح التالي حدّث يعقوب صديقه بنيامين عن فتاة تعرف عليها و يريد الزواج بِهَا، أخبره أنها تعيش بالقرب منهم، وإنه يرى أنها ستكون زوجة مناسبة له، سمع بنيامين وعلى وجهه ابتسامة خدّاعة، فقد كانت نفسه تأمره بغير ما كان يُبدي، فخرج مراقبًا يعقوب الذي كان على موعد مع تلك الفتاة، تبعه إلى أن وصل، راقبهم من بعيد، كانت جميلة كما وصف، تحركت داخل بنيامين رغبة شديدة نحوها، سال لُعابه حتى تنبه أنه كاد يُغرِّق ملابسه، انتهى يعقوب من حديثه معها، أوصلها إلى بيتها وودعها، وبنيامين لم يتبع يعقوب إلى البيت، بل خطط لشيء مقزز.

بعدما تأكد من أن يعقوب رحل وابتعد، خطا إلى بيتها، طرق الباب، فتحت هي وكانت وحيدة، سألته عن مُراده، فعرَّف نفسه أنه صديق يعقوب، فرحبت به متحفظة وسألته بقلق إن كان يعقوب بخير، فأجاب أنه في أحسن حال، وأتبع وهو يمنع لعابه من السيلان قدر المستطاع أنه ليس هنا من أجل يعقوب بل من أجل شيء آخر، وانقضَّ عليها طامعًا، يحاول استراق أي شيء، طمعه عماه وصور له في خياله المريض أنها ستجاريه فيما سيفعل، لذلك لم يهيئ نفسه لما حدث، لم تتجاوب معه، حاولت دفعه قدر استطاعتها، فاستشاط غضبًا، ولم يدر بنفسه إلا خانقها، ولم يرفع يده عن رقبتها إلا قاتلها.

جلس لبعض الوقت يخطط لما سيفعل، جثة هامدة، وعلى جسدها قطرات من لعابه الفاضح، فكَّر في أن يوهم الناس أن الأمر مجرد سَرقة، فعاث في البيت فوضى

ورحل.

في الصباح استيقظ يعقوب وخرج، العامة يتحدثون عن جريمة قتل شنيعة، فتاة وحيدة قُتِلت ليلة أمس، دبَّ الشك في نفسه، وكلما اقترب أكثر من منزلها زاد شكه، حتى وصل ووجد العامة يحيطون منزلها باكيين، فدفع العامة من أمامه ودخل، فإذا بحبيبته جثة هامدة، أصابته الصدمة، ومن نظرته اتضح له أن الجريمة دافعها السَّرقة، ولم يشك أبدًا في صديق عمره بنيامين.

أما بنيامين فاستيقظ صباح السبت، صباح غائم رطب، ذهب إلى السوق لشعوره بالملل، فإذا به يرى تاجرًا كثير البيع، يملأ حقيبتَه بالذهب، والفضة، والأحجار الكريمة، سال لعابه، زادت سرعة ضربات قلبه تبعها تنفسه، وقرر أن يراقب ذلك التاجر، كان تاجرًا غنيًا لا يبرح السوق إلا بائعًا كلَّ ما يملك، ولما فرغ من بضاعته في المساء حمل حقيبته المليئة بالكنوز ورحل إلى بيته، ولكنه لم يكن وحيدًا كما ظن، فبنيامين كظله.

دخل التاجر بيته، وقف بنيامين بجانب النافذة يراقبه من فتحة صغيرة فيها، حفر التاجر حفرة في أرض غرفته الطينيَّة ودفن كَنزه، وعلى الحفرة وضع علامة حتى لا ينسى مكان الكَنز، وخلد في نوم عميق.

فتح بنيامين النافذة بحذر حتى لا تصدر صريرًا يوقظ التاجر، دخل البيت وكان قد رسم في ذهنه صورة لمكان الكنز، تحسس طريقه حتى وصل، حفر وبعد قليل من الوقت تلامست أنامله مع مبتغاه، فأخرج الكَنز ورحل من حيث أتى.

دخل البيت وكان يعقوب نائمًا في غرفته حيث الكرسيّ، جلس وتفحص أجمل ما رأت عينه بعد الكرسيّ، سال لعابه على القطع الذهبية، ولم يدر بنفسه بعد ذلك.

في الصباح استيقظ يعقوب، وعلى غير العادة غرفة بنيامين مغلقة لهذا الوقت من اليوم، طرق الباب ولم يتلق إجابة، دبَّ الشك في قلبه لذلك دخل، ما رآه في الداخل أصابه بصدمة أفقدته الحديث للحظات، فقد رأى بنيامين جالسًا على الكرسي ناظرًا إلى السقف ووجهه أزرق وعيناه محدقتان بفزع إلى الفراغ، اقترب فوجد قطعة ذهب في حلقه! أحب بنيامين الذهب وطمع فيه حتى إنه كان يريد أكله فاختنق، وانتهت حياته نهاية عادلة.

يعقـــــــوب

خرج يعقوب من صدمة موت صديقه غريبًا، تراءى له جمال الكرسيّ، تعجب من أنه لم يره جميلًا هكذا من قبل، سُحر فسرح ففُتن.

حدثته نفسه مدعية ملكية الكرسي لصديقه الميت، لكنه نهرها ونعتها بالتخريف وأتبع مُفكرًا أن صديقه الآن ميت، وهو أحق مَنْ يرث الكرسي، وحفر حفرة لصديقه ودفنه في غرفته، لم يطلع الناس على ذلك الخبر، وظل سرًا إلى حين، أما هو فقد أخذ الكرسي إلى غرفته، وكان قد أرهقه الحفر، فقرر أن يستريح على ذلك الكرسي، ومنذ ذلك الحين تغيرت حياته تغيرًا جذريًا.

للجلوس على الكرسي سحر خاص، فالجالس غير الناظر، أن تراه ويسحرك شيئًا وأن تجلس عليه شيئًا آخر، فالفرق بين الناظر والجالس هو ببساطة (النجاة).

جلس يعقوب على الكرسي اللعين، ونام بعمق ورأى أنه في أرض غريبة، يمينها يسار ويسارها يمين وأعلها أسفلها، كان يعقوب برج الجوزاء، وحينما نظر إلى سماء المدينة رأى كوكبًا شديد الضوء كأنه شمس، وما كان إلا كوكب الزهرة، وحينما نظر أمامه رأى الكرسيّ، فشرع بالاقتراب منه والجلوس، فلما جلس وسمع في أذنه همس الظلال تحثه على تقديم القربان: " قربان من دم شاب لتجنب لعنة السبت"، ولُوِثَت رُوحه بخطيئة الخداع.

ورث من صديقه الكثير من الكنوز، فعطف على المساكين، وبنى المعابد وظهر للعامة بمظهر التقي، رمَّم الكثير من البيوت المتضررة من أثر الغزو، كان يساعد المحتاجين ومن له مسألة، كان رمزًا للخير في المدينة.

هكذا ظهر للعامة لكن في الخفاء كان هناك الكثير من الأعمال المُريبة، كان شخصًا آخر غير الذي يعرفه الناس، فبعد فَترةٍ من الزمن وبعد الكثير من الإنفاق تبددت ثروة بنيامين، ولم يعد معه الكثير، وكان لا بد من مصدر دخل يُبقيه كما هو في حالة من البزخ ويظهر دائمًا بمظهر التقي، فما كان له إلا العمل في السِّفاح! كان عملًا يدر الكثير من الذهب والمتاعب أيضًا، وكان له أثرًا بالغًا في حياته فيما بعد، عمل عنده الكثير من النساء الباحثات عن الذهب، وكان ينتقيهم بعناية بالغة، ولكنه – كما حدث نفسه كثيرًا- لم يُحسن اختيار إحداهن مثلما أحسن اختيار (أديــرا)، تلك الفتاة الجميلة والواثقة، أرستقراطية الملامح، لا تفقه الفرق بين الحلال والحرام، وعلى الرغم من عصبيتها الزائدة وميلها القليل إلى العنف، وثرثرتها إلا إنها كانت طيبة القلب، مخلصة أشد الإخلاص لمن تحب؛ لذلك أعجِب بها يعقوب.

اغتنى، وظل كما هو دجالًا، يبني المعابد، يعطف على المحتاج، حتى قدسوه العامة، وأصبح المبجل يعقوب!

أيام وتساءل العامة عن سبب غياب بنيامين، فعلل يعقوب أن صديقه بنيامين سافر إلى بلدٍ قريب وسيعود، وتأجل الحديث عن بنيامين قليلًا من الوقت ولكنه حينما فُتح كان حديثًا مفجعًا!

كان حتى يضمن بقاء عمله سرًا، لا يدع النساء العاملات يبرحن بيت البغاء، وكان في المقابل يُغرقهُن بالكثير مَن الذهب، حتى إنه لم يكن يُعطيهُن المُتفق عليه، بل كان يزيد عليه دائمًا، وعمل بنصيحة المثل القائل: "أطعَم الفم تخرس الألسنة".

"إن الله حرم الزنى" تلك كانت كلمات المبجل يعقوب حينما يصادفه أحد العامة المغيبين يشكي له تأخر الزواج، كان يأمرهم بالتعفف، فالصابر لا يجني إلا خيرًا،

فازداد حب العامة له، وازداد تقديسًا وتبجيلًا.

كان بيت البغاء يبعد عن بيت المبجل يعقوب عدة أمتار، وكانت أديرا هي من تدير ذلك البيت، كانت سِره، وكانت أمام العامة هي الباغية الكُبرى مالكة كل شيء، وكان في بيت المبجلِ يعقوب سرداب سري يصل بين البيتين، فكان يذهب إلى بيت البغاء عن طريقه وكانت أديرا تذهبُ إليه في الليل أيضًا عن طريقه، فقد كان يعدها بالزواج، وهي صدقته وكانت سِره الكبير الذي لم يفضحه إلا حينما طفح الكيل.

عُرف بين العامة بـ (كاره الزنى)، وكان في بيته يستقبل الزناة الذين يبحثون عن التوبة! يعترفون له بما حدث، و أين مارسوا ما مارسوا وبذلك يسقط عنهم الذنب بالاعتراف، كان من أهم الأسئلة الموجهة للزاني هو "أين؟" فقد كان المبجل يعقوب لا يثق في أديرا، ليس لأنها أهل للخيانة، ولكنه كان ينظر إليها من عين شخصيته المخادعة، فكان على اطلاع دائم بإرادات بيت البغاء من المُعترفين.

في صباح السبت ذهبت إليه أديرا على عجل، أيقظته من نومه العميق وقالت:

– طفح كيلي، متى نتزوج؟

بتأفف وكسل رد عليها:

– لا طاقة لي على الزواج.

وبغضب مكتوم ينذر بعواقب وخيمة قالت:

– وعدتني أن نتزوج وفعلت معي ما يفعله المرء مع امرأته، وأدرت لك بيت البغاء ولولا مساعدتي لكُشف أمرك للعامة يا مبجل!

استشعر من حديثها تهديدًا مبطنًا فاعتدل في جِلسته وقال بضيق:

- لم أعدك ولن أتزوجك فأغربي عن وجهي الآن.

فعادت إلى بيت البغاء ولم يعد شيء كما كان، فقد فكرت، وخططت، ونفذت.

ففي مساء يوم السبت ذهبت إلى يعقوب مدعية أنه على حق، ولا داع للزواج "فالزواج يهدم الحب" هكذا قالت، وكان ليعقوب عادة لا يقطعها منذ أن ورث الكرسي، وهي أنه ينام عليه ليلاً، وكعادته فعل، لكنها خالفت عادتها بالنوم أو بالعودة إلى بيت البغاء، فقد تسحبت إلى أن تلامست أطراف شعره مع عباءتها، كان يحركها شعورها بالغدر، وكان قلبها محطمًا، وحبه تحول إلى كرهٍ شديدٍ، وبسكينها اللامع تحت ضوء تلك الليلة القمرية انتقمت لنفسها من ذلك المخادع، ذبحته وسال دمه فشعرت براحة الانتقام، ومات بسبب الكرسي كمن سبقه!ولكنها راحة منقوصة فالندم تسلل إلى قلبها، لكن الندم لم يدم طويلاً، فقد وقع يعقوب وتراءى لها جنة من نوع خاص، وعلى ضوء القمر الفضي جلست على الكرسي لتبدأ رحلة جديدة.

أديـــــــرا

الكرسي، ومن منا لا يعرف الكرسي! فالجالس عليه تُلوَّث روحه بالشر، ومن لم يجلس فقد نجا، لكنها نجاة مؤقتة فقد يقتلك الجالس على الكرسي لاستشعاره الخطر، فلا تقرب ولا تنظر، وإن سمعت عن الكرسي في مكان أنت فيه فاهرب.

جلست على الكرسي ورأت ما رأت، فقد رأت أنها في أرض ذات رائحة سكرية عطرة، أنغام تتصاعد ولا يدري مصدرها، لكنها تسكر كالخمر، تمايلت وتراقصت، انتشت وشعرت وكأنها تطير، ما سر ذلك الشعور القوي الذي يدغدغ مشاعرها؟

لم تجد إجابة ولكن رأت ورقة قديمة بالية، حروفها واضحة وكأنها كتبت بالدم، كانت رسالة واضحة "قربان من دم شاب لتجنب لعنة السبت"، لم تفهم كثيراً مغزاها، وأخرجها من تفكيرها عطشها، وجدت بركة ماء عذب طيب الرائحة فمدت يدها لتشرب، ولم تكمل الشرب حتى سمعت صوتًا كان صريراً عاصفًا، صوت رياح كالرعد، ففزِعت أديرا مما سمعت واستيقظت متعرقة، حيث تعامدت الشمس عليها فأزعجتها، فتحت عيناها على الواقع بجانبها يعقوب، ولكن الندم الذي كان قد بدأ يتسلل إلى القلب زال، فحفرت حفرة ورمته فيها وهالت عليه التراب، لم تدفنه من مبدا إكرام الميت دفنه! ولكنها تستر جريمتها رغبة منها في المواصلة.

كانت أديرا برج السرطان فلوثت الظلال روحها بخطيئة الإغواء، شعرت بقوة الإغواء، وبعد يعقوب لم تُغلق بيت البغاء، ولكنها استمرت في العمل، لكن وظيفتها تغيرت، فقد تحولت إلى الاستعراض فقط، لا يمسسها أحد.

كانت فقرة أديرا هي المفضلة لدى الكثير من رواد البيت، تبدأ الفقرة بغلق الأضواء كاملة، ثم تبدأ الإضاءة الخافتة مع صعودها على المسرح الخشبي وتبدأ بالرقص واستعراض ما تملك من نِعم، كان السكارى سكارى كما هم، ولكن ما بال من لم يشرب الخمر تائهًا! منذ ذلك الحين عَرَف الناس نوعًا جديدًا من السُكر عُرف بأديرا، كانت فاتنة، شديدة الجمال، وكانت ثقتها تضفي عليها نوعًا غريبًا من الوقار، ولكن وراء تلك الثقة كانت تخفي أديرا خوفًا دفينًا، وصل حد الرعب من مصير تخشاه.

كانت تخشى زوال جمالها، وتجعد جلدها، كانت تخشى العجز، واندثار شبابها، مما سيؤثر على جسدها الممشوق، لذلك كانت لديها فكرة للخروج من تلك الأزمة، ولكنه كان خروجًا وهميًا، فقد تسبب لها فيما لا يُحمد عاقبته.

ففي مساء أحد الأيام استدعت إحداهن، وأطلعتها على سر لا يعلمه أحد سواها والراحل يعقوب، أخبرتها بـ "السرداب السري" الواصل إلى بيت يعقوب، شعرت المُستدعاة بأنها أصبحت ذات شأن، وأن خبرًا سعيدًا قادم إليها، فحينما تستدعيها صاحبة العمل وتطلعها على سر كهذا تعتبر تلك تلويحة من الخبر السعيد، كانت تشعر أنها على مشارف حدثًا كبيرًا، وقد كان.

أدخلتها أديرا ورحبت بها، فشعرت بالاطمئنان وجلست، فطلبت أديرا منها أن تنتظرها بعض الوقت، فهي ستقضي حاجتها في الحمام ولن تتأخر، غابت فترة ولكنها لم تغب عن فكر المُستدعاة، فقد تخيلت الحياة الجديدة التي ستنعم بها فقد كانت كل البوادر تشير إلى ذلك، معاملة أديرا الجيدة على غير العادة، اضطلاعها على سر كبير كالسرداب، ولكنها بذكر السرداب انتابها القلق، فالمبجل يعقوب لم يظهر منذ عدة أيام وأديرا تدعي أنه مسافر، تساءلت في سرها عن ذلك السفر

الذي يأتي فجأة ولم تفهم شيئًا فقررت كنوع من الهروب التفكير في أحلام يقظتها، فأخرجها من أحلامها كابوس مفزع، فهناك من يخنقها بحبلٍ غليظٍ من الخلف، فحاولت الدوران لكنها لم تستطع، وحينما دافعت عن نفسها محاولة النيل من وجه من يحاول قتلها علمت من هو، إنها أديرا.

لكن الوضع كان سيئًا، فانتهى الأمر سريعاً لصالح أديرا، التي بدورها حينما تأكدت من موت الفتاة حملتها لتتم بقية الخُطة، دخلت بها إلى الحمام ومن ثم إلى حوض الاستحمام، ووضعت يداها ورأسها داخل الحوض وقامت بسده حتى لا يتسرب المرجو منه ويضيع معه الغاية، بعد ذلك وبسكين لديها قامت بقطع رقبة الفتاة ويداها عند الأوردة، وتركت البقية للوقت، وبعد قليل، قد صُفي دم الفتاة داخل الحوض، حملتها أديرا وذهبت إلى حيث يرقد يعقوب، وحفرت حفرة بجانبه حتى تؤنس وحشته!

ثم عادت إلى الحوض، خلعت ملابسها، وعلى ضوء الشموع الهادئ خطت أولى خُطواتها نحو الجمال -هكذا ظنت- وضعت قدمها في الدم، الدم ملمسه لزج وغريب، ورائحته مقززة لكنها طمأنت نفسها أن لكل شيء ضريبة، وبعد حين ستعتاد على تلك الرائحة، فرفعت القدم الثانية وأنزلتها في الدم، ومن دون تفكير تمددت بكامل جسدها ما عدا رأسها داخل الدم، شعرت بالشباب والحيوية، شعرت بأن جسدها يستعيد شبابه، ينضر، ينعم، تتفجر أنوثته، تلك أديرا وذلك ظنها.

في الصباح، استيقظت كعادتها على الكرسي، تحسست بأناملها جسدها وشعرت بأن الأمر قد نجح، فقد نعم جلدها وأصبح بلا تجاعيد، تزينت وعادت إلى بيت البغاء لتباشر عملها، أصبح لها عادة لاحظها من يعمل معها منذ فترة،

فقد أصبحت تنثر تحت الكراسي في بيت البغاء رائحة سكرية وخمر، فكان الداخل تسكره الرائحة قبل أن يسكره ما سيشاهده، وكانت هي تقوم بفقرتها فيتساقط الرجال تحت أقدامها، منهم متوسلاً تلبيه طلبه ومنهم من سكر إلى الثمالة فلم يدر بما حوله، فكانت تتلذذ بما تفعل وكانت يومياً رغبتها في الحفاظ على شبابها وجمالها تزداد.

ففي المساء التالي دعت إحداهن إلى بيتها، وكان شرطها ألا تُخبر المستدعاة أحدًا حتى لا يغرن منها الأخريات، فتنطلي عليهن الخدعة، ويذهبن دون علم أحد، فتفعل مثلما فعلت مع من قبلها، كررت الاستحمام بدم شابات ثلاثة في ثلاث ليالٍ متتالية، ولكنها صباح السبت حينما استيقظت لاحظت ظهور تجاعيد جديدة، صُدمت لأنها مساء اليوم السابق كانت تستحم بالدم، فشعرت أن تلك الطريقة لا تنفع، وكان هناك طريقة أخرى سمعت عنها وقررت أن الحل فيها.

كان هناك عذراء تريد العمل لديها، فقررت دعوتها إلى بيت يعقوب، ذهبت العذراء ليلاً وقابلتها أديرا باحتفاء، وكانت ليلة السبت المشؤومة، وكعادتها اصطنعت دخول الحمام وباغتت العذراء من الخلف وقتلتها، وبعد أن أفرغت دمها في حوض الاستحمام لم تنزله كالسابق، ولكنها ملأت قدرًا كبيرًا بالدم وشربته! فقد كان هناك أسطورة تتحدث عن أن شرب دم العذراء يعطي الإنسان شبابًا دائمًا، فانساقت هي وراء الأسطورة، ولكنها بعد شرب الدم تقززت مما فعلت، وشعرت بالغثيان وقررت الاستراحة على الكرسي لحين هدوء معدتها، لكن بعد فترة الوضع ازداد سوءًا، وصاحب الغثيان دوار ثم قيئ ثم تسمم فوفاة، ماتت على الكرسي ولم تحصل على الشباب.

لاحظ الجميع اختفاءها، كما لاحظوا اختفاء العاملات لديها، وبعد عدة أيام

شم الجيران والعابرين رائحة نتنة تنبعث من بيت المبجل يعقوب، لذلك تم اقتحام البيت وكانت الفاجعة، فالبيت كان مقبرة جماعية، جثث في كل مكان منها من دفن ومنها من لم يُدفن، بالحفر اكتشفوا خمس جثث مدفونة في غرفتين، تعرفوا على أربعة منهم، كانوا يعقوب والثلاث فتيات، فقد كانت الملامح واضحة، وواحدة تعرفوا عليها من ملابسها، كانت جثة بنيامين، بالإضافة إلى الخمس جثث المدفونة كانت هناك جثتان أخريان للعذراء وأديرا، التي أشارت أصابع الاتهام إليها، منهم من تحدث عن خلل عقلي ومنهم من قال أن مس أصابها، ومنهم وهم الأقرب إلى الحقيقة تحدث عن لعنة أصابت مدينتهم، ودعوا إلى هدم بيت البغاء وبيت المبجل يعقوب وبيع مقتنياتهم لتزول اللعنة، فسمع أحد التجار عن ذلك الكرسي العتيق، فقرر رؤيته فأعجبه وقرر شراءه، فقد كان يخطط لأن يهديه إلى ملك له معه الكثير من المصالح، كان الغرض من الهدية إنجاز بعض الصفقات، ولكنها تحولت من هدية إلى لعنة جديدة.

الملك الصالح

حمل التاجر الكرسي ورحل إلى وجهة جديدة، مصر الفرعونية، حيث (الملك الصالح) كذلك أطلق عليه المقربون، كان يعشق التجارة، وكان ما يميز عصره أنه هادئ بلا صراعات، كان يتجنب أي شيء يلطخ به سيرته، كان يعشق أولاده، وكان شديد الرحمة بهم، ولكنه مع غيرهم كان شديد البأس، أما شخصيته فقد كانت ضعيفة بعض الشيء، وكذلك ذكائه، لكن أشد ما ميزه أنه يكره الحرب، لكنه كان على موعد مع الكثير من الأحداث التي ستغير وجه التاريخ.

وصل القصر، قابل الملك، وأهداه الهدية، وكعادته لم يرفضها، بل أسره جمال ذلك الكرسي العجيب، الذي لم يرَ مثله في البلاد، جلس الملك، فغاب عن العالم ثوانٍ، فلوثت الظلال روحه بخطيئة الفساد، ووجد نفسه في مكان غريب لم تطأه قدماه من قبل.

لكن الكرسي لا يحل إلا وتحل معه اللعنات، ففي مساء اليوم استيقظ أهل المدينة على فاجعة ستغير الكثير من أحداث التاريخ.

رأى الملك نفسه في أرضٍ قاحلة، رائحة الحموضة تنبعث من كل أركانها، رأى منازل مهدمة، وزروعٍ تالفة، ورأى الكرسي، فتعجب من وصول الكرسي لمكان كهذا، اقترب من الكرسي ولكن أخرجه من ذلك الحدث حدث أكبر، فالرياح أصبحت عاصفة، وكما رأى السابقون فقد رأى كوكب الأرض يقترب منه بسرعة، ركض ولكن لا مفر من القدر، فابتلع الكوكب واستيقظ راكضًا نحو الكرسي، كان الملك برج الأسد ولوثت الظلال روحه بخطيئة الفساد.

رأى على ظهر الكرسي كلمات لم يرها من قبل، وكأنها حفرت حديثاً أو أنها كانت موجودة ولكن هناك ما لهاه عنها، فكر فيما ممكن أن تعني تلك الكلمات الغريبة، ولكن هناك صراخ أخرجه من تفكيره، ووجد أحد الحرس يطرق الباب مفزوعًا، وما أن علم بما حدث حتى أصابه الفزع هو الآخر، فالنار تأكل صهاريج القمح، لم يبق الكثير من القمح السليم، وما أنقذ لن يكفي الشعب عدة أيام، ووسط ذهول الحاضرين من الأحداث المفاجئة كان الكرسي مستقرًا في زاوية الغرفة.

كانت البلاد على حافة الهاوية، المجاعة آتية لا محالة، ولكن كان هناك حل عند الملك يفرضه الضمير البشري، أن يستورد القمح في أسرع وقت من أحد الدول المجاورة، ولكن الملك الصالح اختار الحل الأسوأ، سأل أحد الجمع حوله عن مصير القمح الفاسد الذي كان سيحرق، فأعلمه أن الحرق سيتم مساءً، فنظر إليه الملك الصالح ونهاه عن حرقه بأن قال:

– لن يحرق القمح الفاسد بل سيطحن وسيأكله العامة.

كان حلاً يوفر الكثير من الذهب، ولكن ذلك الذهب سيسحب من خزائن الدولة، وسينفقه الملك الصالح في أعمال أخرى، هكذا زعم، وكعادة الحاشية تهللت بحكمة القرار وسداد الفكر، وأن قرار الملك قد أنقذ المملكة من كارثة حقيقية، ومنذ ذلك الحين أصبحت سُنتنا نتهلل بالملك حتى وإن كان لا يتعدى ذكاؤه حدود غرفته، هؤلاء الأولين، وعلى الخطى نسير.

طحن القمح بأمر الملك، فالعامة يأكلون من الفاسد والملك الصالح وأهله يأكلون الصالح، وسرعان ما بدأت الأمراض بالظهور لدى العامة، حالات تسمم حتى إن الأمر وصل حد الموت، ولم يأبه أحد بشيء إلا القليل، حركهم

ضميرهم واعترضوا على ما يحدث، منهم من كان من المقربين ومنهم من لم يكن، ولكن الملك لم يفرق بين أحدٍ، فقد كان العقاب فوريًا، عزل كل من اعترض وعين مكانهم أقرباءه، واتجهت المملكة من سيء لأسوأ.

العامة يحتضرون، والملك الصالح ينعم بأطيب الطعام، فكان يوميًا يقدم له في وجبة العشاء خبزًا وماءً، تلك كانت عادته.

كثر الموت في المملكة، وانتشر الفساد وتوطن، لم يكتف بذلك بل استمر في عزل الكفاءات وتعيين بدلاً منهم أقرباءه ومعارفه، فانحدرت المملكة حتى القاع، فلم يكتف بذلك بل نشر منادين ينادون في العامة بأن ملكهم ينشئ المشاريع المهمة، يوفر لهم الطيب من الطعام، وإنهم سيشعرون بالتحسن في القريب العاجل، كما كانوا يذمون من يعزله الملك الصالح، منهم من نعتوهم بالخيانة، ومنهم من نعتوهم بالفساد، ومنهم من نعت بأقزع التهم، وما أشبه البارحة بالليلة!

صباح السبت استيقظ الملك الصالح متذكرًا تلك الكلمات الغريبة، فاستدعى كبير الكهنة، الذي أتى متعجباً من ذلك الاستدعاء المبكر غير المألوف، لكنه كان يدرك أن هناك أمر خطير، لذلك ذهب بأقصى سرعته إلى الملك، انحنى أمامه في ذل وخضوع، فتبع الملك إلى غرفته، فأشار الملك إلى زاوية الغرفة حيث الكرسي، وأخبر كبير الكهنة بما ظهر على ظهر الكرسي، فاقترب كبير الكهنة وتفحص، فأدرك أن الوضع خارج سيطرته، وتساقطت الأقنعة وكشفت الأمور، فاغتاظ الملك الصالح من ضآلة علم كبير الكهنة وأمره بالانصراف، وطلب من أحد الحراس أن يأتي له بأمهر ساحر في المملكة.

فسيق الساحر إلى قصر الملك الصالح متعجلاً، فالأمر خطير كما وصِف، دخل قصر الملك ومن ثم إلى حجرته فإذا بالملك الصالح يقف محدقاً في الكرسي الكائن

في زاوية الغرفة، فانتبه الملك له بعد حين وأفسح له الطريق ليتفحص تلك الكلمات الغريبة الظاهرة على ظهر الكرسي، دقق الساحر نظره فعلم ماذا تكون، ولكن المكتوب أصابه بقلق وإن كان لم يرتقِ إلى حد الفزع، التفت إلى الملك الصالح وقال:

– هذه اللغة السريانية، إنها إحدى اللغات القديمة.

فأماء له الملك بقلق أن أكمل، فأتبع:

– وإنها تقول: "تجنب لعنة يوم السبت بدم شاب يُغرق الكرسي".

نظرات الملك الصالح تغيرت، وهنا بدأ الفزع يتسلل إلى نفس الساحر، فأتبع قائلاً:

– اسمح لي بالمغادرة مولاي، فقد انتهت مهمتي.

وهم بالرحيل لكن أوقفه حدث أشد فزعاً من نظرات الملك، فرد عليه الملك قائلاً وهو يخرج شيء من جانبه:

– لا لم تنتهِ المهمة بعد.

وغرس في بطن الساحر سكينه الذهبي، ووسط تألم الساحر واحتضاره أمر الملك الصالح أحد الخدم أن يحضر له إناءً كبيرًا وقطعة قماش، وقام بقطع أيدي الساحر وتصفية دمه داخل الإناء، ومن ثم قام بإغراق قطعة القماش في الإناء ومسح الكرسي، وحين أتم ما كان يفعل ظن أنه تجنب لعنة السبت، وخيل إليه أنه ناجٍ.

وفي مساء اليوم وقت العشاء، قُدم إليه وجبته المفضلة، خبز وماء، أكل الملك وذهب يجلس على الكرسي، حينها شعر بألم في معدته، أتبع الألم قيئ فصداع رهيب

فموت.

في الصباح استيقظ القصر على صراخ مصدره غرفة الملك الصالح، فإذا بها خادمته وإذا بالملك صريع، جاء طبيب الملك الذي أعلمهم أن سبب الوفاة أن الملك أكل خبزًا مصنوعًا من قمح فاسد، ففزعت الخادمة لأنه خطأ لن يغتفر لها، ولكنه العدل فمن قتل يقتل ولو بعد حين، أما عدم تجنب اللعنة برغم تقديمه القربان فإن الساحر كان فوق الأربعين وهو ما لا يبحث عنه الكرسي، فالكرسي يحب الدماء الشابة المليئة بالنشاط .. المليئة بالأمل!

حُنط الملك الصالح، انتهت حياته ولم ينتهِ أثر فساده، فالعامة يحتضرون من الخبز الفاسد، هم المقربين له بدفنه فإذا بأحدهم يقترح اقتراحًا خطيرًا، إذ قال:

– إن الملك منذ أن حصل على ذلك الكرسي وهو لا يبرحه إلا قليل، فقد كان يحبه، فما قولكم أن يُدفن معه حتى يكون معه في حياته الأخرى؟

فوافق الجمع على الرأي ودفن الكرسي مع الملك، وظل تحت الأرض حين من الزمن.

همـــــام

بعد ما يقرب من ثلاثة آلاف عام، وفي إحدى قرى صعيد مصر، كُشف الغطاء عنه فتنفس الحرية من جديد، عاد متعطشًا للدماء وللشر، فنادى في الأرواح الضعيفة، فإذا بأحدهم يستجيب.

ولد همام لعائلة ميسورة الحال، وباجتهاده زاد المال، كان له نصيبًا من اسمه، فلم يكن يكل أو يمل من العمل، ولكن حدث ما حال بينه وبين دوام حاله.

فأحد المعارف ممن كان لهم علاقة بسارقي القبور الفرعونية، أخبره أنهم وفي إحدى المقابر الملكية وجدوا كرسيًا ظنوا أنه بلا قيمة، فلم يكن ذهباً أو شيئًا نفيسًا، فعرضه على همام الذي كان له اهتمامات بالتحف القديمة، فذهبا معاً ليروا الكرسي، وكانت تلك اللحظة الفارقة.

أخذه الوسيط إلى المكان، وقع البصر، وفُتن القلب، فـأسر العقل، ولم يرحل دونه، وكان بذلك يحفر قبره بيده، وصل البيت وفي غرفته قرر أن يأخذ قسطًا من الراحة على كرسيه الجديد، ولكنها كانت راحة أبدية، فمنذ أن جلس على الكرسي لم يبرح مكانه لأى ظرف.

شعر أنه يسقط من جرف عالٍ، ووجد نفسه في مكان غريب تملئه كل سبل الراحة، حتى الأرض من الإسفنج ووسائد في كل مكان، أخذ قسطًا من الراحة لكن حينما استيقظ وجد بجانبه صخرة لم تكن موجودة من قبل، صخرة لا يتعدى حجمها كف اليد، ووجد عليها محفوراً "قربان من دم شاب لتجنب لعنة السبت"، ولم يفرغ من القراءة حتى هبت العواصف ورأى كوكب المشترى يقترب منه

بسرعة جنونية، حاول القيام والهرب لكن هناك ما منعه، لم يكن يقوى على القيام، فاستسلم إلى مصيره اللعين، فابتلع الكوكب واستيقظ ليجد نفسه في غرفته على الكرسي، فاطمأن وأرجأ كل ما رأى إلى أضغاث الأحلام.

كان همام برج العذراء ولوثت الظلال روحه بخطيئة الكسل.

في الصباح وعلى غير العادة، استيقظ أهله في البيت فوجدوه نائماً، فسموا الأمر بأنه حالة عابرة. وهو نائمًا لا يقوى على الحركة إرادياً، وخم رهيب يعتريه، فنام ونعم بالراحة الطويلة التي لم ينعم بها من قبل، فقد كان همام اسم على مسمى، حيث كان يستيقظ في الصباح يرتدي ملابسه ويذهب إلى عمله، لكنه اليوم يذوق طعم الراحة وكأنه لم يهنأ بها أبداً.

مر اليوم الأول وجاء اليوم الثاني، ولكنه لم يأتِ بجديدٍ، فظل على الكرسي نائمًا لا يتحرك، تعجب آل البيت من ذلك الكسل المفاجئ، ولكن الإنكار ظل مصاحبًا لأفكارهم، وأرجعوا كل شيء تحت مسمى الحالة العابرة، ولكن تلك الحالة العابرة ظلت مصاحبة همام أيام عدة، حتى إنه في أول الأمر لم يكن يتحرك إرادياً ولكنه أصبح لا يتحرك لا إرادياً، لم يُصبه شلل كما ظن آل البيت، ولكنه كسل لا يفارقه، ولن يفعل.

زاد وزنه بصورة غريبة، بسرعة لم يرَ الأطباء مثيلاً لها، فحيرتهم حالته، وهنا تيقن آل همام أن الوضع خطير، فقد زاد الوزن وكثرت الشحوم وأصبح كل فعل صعب عليه، حتى أن التنفس أصبح صعبًا، كان يأكل في مكانه، يقضي حاجته في مكانه، ظهرت تقرحات بالظهر والقاعدة، هكذا شخصه الطبيب بناء على ما شعر به همام وحكى عنه.

أصابته حالة نادرة من تصلب المفاصل نتيجة لعدم الحركة، وتشعبت الدوالي

في القدم لانعدام الحركة، وتصلبت الفضلات داخله لعدم دخوله الحمام، وجاء في تقرير الطبيب ما يفيد بأنه على حافة الهاوية، كان همام يتعفن حياً، وكان في الموت راحة له.

في صباح يوم السبت، استيقظ همام على منظر ألفه، غرفته وهو جالس على الكرسي لا يقوى على الحركة، حتى إنه أصبح لا يقوى على تحريك رقبته، كان قد وصل إلى مرحلة لا عودة فيها، شحوم على شحوم على شحوم، ذلك همام وذلك مُصابه، أصبح التنفس أصعب، شعر وكأن القلب يتوقف، ظل الوضع هكذا إلى أن جاء المساء، زيادة الوزن الغريبة أدت إلى مشاكل في القلب نتج عنها في المساء موته بسكتة قلبية، وفي الصباح التالي استيقظ آل البيت على نحيب قادم من غرفة همام، وإذا بها زوجته تبكيه، فأصابهم الهم والحزن.

جاء الطبيب ليؤكد ما حدث، فقد مات نتيجة الزيادة الغريبة في وزنه، ولكن التشخيص الدقيق ظل مجهولاً، أما آل بيته فقد رأوا أن حالته تدهورت منذ أن جاء بذلك الـ (فأل السيئ)، فقرروا بيعه لأحد هواة جمع التحف، لتاجرٍ غنيٍ يدعى عبيد.

عبيـــــــد

كان في زيارة لأهله في الصعيد حينما سمع ورأى، عُرف عن عبيد أنه متواضع، بالرغم من حبه اللافت للمظاهر، لكنه كان حادًا، يحب الخير، قوي الشخصية، كل تلك الصفات أهلته للنجاح في التجارة.

سمع عن الكرسي وعن مدى جماله، وحينما كان في عزاء همام علم نية آل همام ببيع الكرسي، وكان حبه لجمع التحف يحركه، فلما رآه تاه في ذلك الجمال النادر، وضعه الكرسي في حالة غريبة لم يفهمها، كان يشعر بأنه يعرف ذلك الكرسي، إنه رآه من قبل، كما كان على يقين أنه أول مرة يرى فيها ذلك الكرسي، لكن ظل شعور غامض يراوده، شعور لم يفهمه، لكنه كان شعور بالارتباط.

ذهب إلى آل همام ولم يعد إلا ومعه الكرسي، وعاد به إلى حيث يسكن حيث القاهرة، ووضع الكرسي في غرفته بجانب الكثير من التحف القديمة، لكن ذلك الكرسي الخشبي كان له طابعًا خاصًا، فخشبه لم يرَ مثله من قبل، وبخبرته في مجال التحف أجزم أنه صنع من شجرة انقرضت منذ آلاف السنين، وتلك الرسومات الغريبة على ظهر الكرسي وملمس القاعدة المصنوعة من جلد الثعابين كان مدهشًا، أما تبطين الكرسي بشيء أشبه بالرمال كان فكرة عبقرية، هكذا حدَّث نفسه، فجلس على الكرسي وتغير كل شيء...

بدأ بأن رأى نفسه في أرض لم يطأها من قبل، لفت انتباهه أسوار تلك المدينة الذهبية، ومبانيها الشامخة التي لا يعرف لطولها نهاية، وحينما كان يتفقد طول المباني رأى كوكبًا غريبًا بحلقة تحيطه، كان كوكب زحل، نظر إليه وتأمله فسمع من يهمس في أذنه قائلاً:

– "قربان من دم شاب لتجنب لعنة السبت".

تعجب من تلك الهمسات ونظر ذات اليمين وذات الشمال فلم يكن هنالك غيره، وتلك الظلال المحيطة به! فأخرجه مما كان فيه عاصفة شديدة، تقتلع المباني من عروشها، وتعصف بكل ما يقابلها، نظر إلى السماء فرأى الكوكب يتحرك بسرعة نحوه، ركض بأقصى ما أوتي من سرعة، ولكنه كان كمن يهرب من الموت، فحدث نفسه ألا أمل، كان المكان يعج بالفوضى جراء العاصفة فتعثر في أحد الحجارة ووقع، وولى وجهه قِبل الكوكب فرأى أنه يبتلع الكوكب؛ فاستيقظ من نومه فزعاً وأصبح غير.

كان عبيد برج الميزان ولوثت الظلال روحة بخطيئة التكبر، رأى نفسه متفرداً، وإنه يجب ألا يظل وسط العامة الكادحين، بل يجب أن يكون في مكانة أعلى، ومن هنا جاءت فكرة في رأسه سيكون لها أثرًا بالغًا، فقد وكّل أحد البنائين بأن يبني له صرحاً ما بُنى مثله في البلاد، وفي أقل من أسبوعين، وإن أتم البنّاء العمل سيكون له وافر العطايا، فوافق البنّاء وبدأ في العمل سريعاً.

كان لدى عبيد تصور في رأسه يريده في الواقع، فهو يريد شيئًا فخمًا يوحي بالغناء الفاحش، شيئًا عاليًا والبقية دونه، كان ينظر إلى العامة نظرة استعلاء ولم يكن له نصيب من اسمه!

تغير عبيد، هكذا أجزم من كان يتعامل معه منذ أعوام، كان شخصًا وأصبح آخر، حيرت تصرفاته مَن حوله، فلم يكن يوماً متكبراً! بارت تجارته فلم يكن يحتاجها، نفر الجميع منه ولم يود أحد التعامل معه لتعاليه، وفي المقابل كان البنّاء يعمل بأقصى ما أوتي فكان العمال يعملون صباحاً ومساءً دون توقف، كان ينجز المطلوب ولكن قابلته مشكلة، تتلخص في أن هذا الارتفاع سيكون خطرًا على

المبنى، لن يكون صلباً جامداً ، فعرض على عبيد أن يكتفي بارتفاع أقل لضمان السلامة، لكن عبيد أصر على الارتفاع ليترتب على قراره حدث مهم فيما بعد.

ملأ منزله بالخدم، وهو الذي كان يرفض تلك الفكرة في السابق، وكان من أهم ما يتعلمه الخادم هو الخضوع أمامه، فهو عظيم الشأن، هكذا تصوَّر، فكان الخادم إن دخل عليه غرفته يركع على ركبتيه! ويظل على وضعيته إلى أن يخرج! كان لدى عبيد طريقة في اختيار الخادمين، فمن أهم ما كان يبحث عنه أن يكون الخادم قصير القامة، حتى ينظر فوقه، فهو عالي المكانة وهكذا خيل إليه.

زُين له سوء عمله وتكبره على العامة، وكان المبنى الذي سُمي صرح عبيد على وشك الانتهاء، كان مبنى تقوم فكرته على قاعدة عريضة تقل تدريجياً بالارتفاع، إلى أن يصل إلى القمة حيث منزل عبيد، كان مبني من الحجارة ولكنه مغلف من الخارج بالرخام، فأضفى عليه وقارًا وهيبة وبالتأكيد غموضًا.

في صباح يوم السبت، حدث ما كان يخشاه عبيد، فقد دخل غرفته ليجد أحد الخدم الجدد يمسح كرسيه بحسن نيه، وهو كان قد حذَّر الجميع من الاقتراب من كرسيه، لكن الخادم الجديد على ما يبدو قد نسي، صعق عبيد مما رأى ولم يدر بنفسه إلا ضارب الخادم بعصا غليظٍ على رأسه، فتناثرت الدماء في كل مكان وعلى الكرسي!

كان للصدفة الدور الرئيسي في تجنب عبيد لعنة أول سبت، فقد تشرب الكرسي دماء الشاب ولكن عبيد لم يلحظ ما حدث، فقد شُغل بالجثة التي أمامه، نادى على أحد الخدم فجاءه راكعًا وصعق مما رأى، شعر بأن كارثة وشيكة الحدوث، فسيدهم قد أصابته جنة، توجس الخوف ولم يستطع رفض الطلب الذي طُلب، بأن يأخذ تلك الجثة ويلقيها بحذر حتى لا يُلفت الانتباه، ومر السبت الأول على

عبيد حي يتكبر.

– كدت أفرغ سيدى.

هكذا رد البنّاء على عبيد حينما سأله عن الصرح، لكن كان لدى عبيد طلب حذره البنّاء من عواقبه المحتملة، فقد كان يريد أن يرتفع الصرح أكثر مما أتفق عليه وأخبره البنّاء أن في الارتفاع خطرًا كبيرًا، لأن المبنى سيكون هشًا أمام زلزال متوسط القوة، ولكن رد عبيد بأن قال:

– يا جبل ما يهزك ريح.

ثم صمت قليلاً واعتد بنفسه ورفع جبهته أكثر وأكثر وأكمل:

– وأنا الجبل والريح.

لم يجد البنّاء ما يرد به على عبيد إلا أن قال:

– لك ما تطلب.

خرج عبيد على العامة بزينته، فإذا هم ذاهلين، من أين له تلك الكنوز ؟! عباءته الحريرية، وعكازه الذهبي، وتاجه المرصع بالأحجار الكريمة، فإذا بأحد معارفه القدامى والذي تأذى من رؤيته بهذه الحالة من الكبر والاستعلاء يقول له:

– تواضع تُرفع منازل.

ثم أكمل:

– إن الذي وهبك تلك الكنوز لقادرًا على سلبك إيها.

فغضب عبيد من حديثه وقال:

- لم يهبني، وإنما أُتيتها عن علم وعمل!

فإذا بالعامة يضربون كف على كف، ويحه ماذا يقول ؟! وكان حراسه يدفعون العامة الطامعين في أن ينالوا استحسانه ويعطف عليهم بقليل مما يملك، حتى إن الأمر وصل حد الضرب، فسالت الدماء على الأرض، دماء لم تكن تريد زينة أو جاه، وإنما إشباع جوع لم يُشبع منذ زمن، تباهى بما يملك وكفر بالذي أنعم عليه، وأصبح على شفى حفرة.

أُزيح الستار عن الصرح، فخيَّم الذهول على الأرجاء، فالعمل أنجز وفي وقت قياسي! مراسم صعود الصرح لم يُشهد لها مثيل؛ فقد فُرشت الأرض تحته بحرير مغطى بنقود خيطت فيه، وعلى جانبي الطريق وقف الحرس يدفعون المتهافتون على عبيد رغبة في نيل القليل منه، كان مشهدًا مستفزًا إلى أبعد الحدود، أو كان لدى بعضهم - ممن فيهم ذلك الداء اللعين- مشهدًا مجيدًا تمنوا تقليده، صعد عبيد إلى الصرح، واستقر على كرسيه في أعلى نقطة في الصرح. انعكاس ضوء الشمس على رخام الصرح جعله وكأنه مصدر الضوء، فكان ينير المكان حوله ولم يكن يستطع أحدهم أن يطيل النظر إليه بسبب قوة الضوء، كان وكأنه صرح في السماء، كان وكأنه نجم هابط إلى الأرض من عالم مثالي خالٍ من العيوب.

كان ذلك في صباح السبت، جلس عبيد على كرسيه يتأمل المنظر المهيب، ولأول مرة شعر وكأنه في المكان المناسب، فهو العالي الذي لا يتساوى معه أحد من العامة، فلما فرغ الخدم من الأعمال الشاقة ورحلوا إلى حيث يبيتون قريباً من الصرح قرر عبيد النوم، فاليوم كان شاقاً، جلس على الكرسي ونام كما لم ينم من قبل.

وفي طيات الليل، حدث ما لم يؤلف حدوثه، زلزال ليس بالقوة الكافية يُحدث

أضرارًا عارمة! لكن العامة استيقظوا فزعين، كان وكأن هنالك وحشًا يزأر، توافد العامة يتبينون ما حدث، فإذا بأحدهم يقول إنه صرح عبيد، كان أنقاضًا متناثرة وكأن الصرح قد ضُرب بصاروخ ، لا سبيل لنجاة أي شيء، هكذا ظن من حضر، وأثناء بحثهم وجدوا يدًا بين الأنقاض، كانت يد عبيد، أزالوا من حولها الحطام أملاً في إنقاذه، فإذا بعبيد مهشماً وكان فوق عبيد شيء - ورغم انهيار الصرح- لم يصبه خدشٌ واحد، إنه الكرسي!

كان العامة لا يفهمون علاقة كل هذا بالكرسي، لكن فطرتهم حدثتهم أنه يجب تجنب ذلك الكرسي، فخشوا ملامسته حتى لا يصبهم ذلك الفأل السيء ويلازمهم حتى يقضي عليهم، وهناك من لم ينم ليلتها لبشاعة المنظر، ومنهم من كان يقلب كفيه ويقول:

- ما أغنى عنه ماله!

كانت حالة من الفوضى تسيطر على المكان، فوضى مكانية وشعورية، وأكمل الفوضى وزاد عليها البنّاء حينما جاء، واتهمه الحضور بالتقصير في العمل، ولكنه أقسم للجمع إنه أتقن الصنع، ولكن عبيد هو الذي أصر على الارتفاع أكثر رغم تحذيره، وبين تلك الفوضى العارمة والأصوات المتداخلة كان يقف صادق مذهولاً مما يرى، ولكنه ذهول مشوب برغبة مريبة ليس بالرعب كالأغلبية، أثار الكرسي إعجابه، جذبه فأسره فعقد العزم، رأى عبيد المهشم تحت الكرسي الذي كان يقف بصورة مدهشة، وكأن هناك من عَدّله، قرر الجمع رفع الجثة لدفنها، وكان صادق ممن قرروا المساعدة، إذ قام برفع الكرسي، وتعاون القليلون لرفع الجثة ووضعونها مكان الصرح المنهار، وهالوا عليها التراب.

صـــــــادق

لم يجرؤ أحد من العامة أن يقرب الصرح المنهار، تركوه كما هو خوفاً من الفأل السيئ، وعبرة لمن يصبه ما أصاب عبيد من كبر واستعلاء، ودفن عبيد في المكان نفسه، وأصبح صرح عبيد الذي تمنى أن يعيش فيه عمراً طويلاً قبره! وبعدما فرغ العامة من دفن عبيد لاحظوا اختفاء الكرسي، ولكنهم حدَّثوا أنفسهم بأن قالوا: "فليختفي ولتذهب لعنته بعيداً عن مدينتنا".

تسلل من دون أن يُلاحظ، دخل المنزل ثم غرفته، وضع الكرسي في زاوية الغرفة المظلمة، كان هناك ما يدفعه لفعل كل ذلك، وهو الذي عُرف عنه عدم البحث عن المتاعب، والبساطة، وضعف الشخصية، والتفاني في العمل، فهو منذ زمن بعيد في تلك الشقة داخل تلك المدينة الحزينة، لكن كل تلك الصفات أصبحت ماض فبمجرد رؤيته لذلك الكرسي اللعين تغير الكثير داخله، فأصبح لديه إحساسًا دفينًا يدفعه لفعل أي شيء للحفاظ على ذلك الكرسي، فتطبع بطبع من سبقه.

جلس وليته ما جلس، فقد رأى نفسه أمام مدينة لها أسوار وبوابات عتيقة، وعلى أسوارها حُفر ما دله أنها تُدعى مدينة الفساد، فتعجب كيف أتى إلى هنا؟! لم يتذكر أي شيء، فقرر الدخول ليتبين أكثر، ما أثار دهشته أن ماء المدينة كان نارًا ونارها ماءً! شعر بالدوار من تلك المدينة، ولكن هنالك ما شد نظره إلى زاوية بعيدة، فإذا بالكرسي يفور الدم منه! تشكلت أسفل الكرسي أنهارٌ من الدماء، ووجدها تُشكل جملة، فلما قرأها أصابته الدهشة، فقد كُتب "قربان من دم شاب لتجنب لعنة السبت"، لم يستمر كثيراً في تلك الدهشة، فقد أخرجته الرياح العاتية

من الدهشة وأدخلته في حالة من الفزع، فإذا بكوكب أورانوس في السماء يتحرك نحوه بسرعة رهيبة، والرياح العاتية تعصف بكل شيء حولها، أعاصير ودوامات هوائية، والكوكب السابح في السماء يقترب بسرعة، فقد توازنه جرّاء الرياح فوقع، فإذا به يبتلع الكوكب، فاستيقظ متعرقاً وقلبه من الخوف كاد أن يقف استيقظ صادق فزِعاً من أن يكون قد أصاب الكرسي مكروه أو زال مع العواصف، فاطمأن عندما رأى أنه جالس عليه كما هو، وأن ما رآه كان كابوسًا ليس إلا، فتحسس الكرسي وغط في نومٍ عميقٍ.

كان صادق برج العقرب ولوثت الظلال رُوحه بخطيئة الكذب.

استيقظ في الصباح، نزل الشارع، فقابله أحد العامة وتذكر أنه آخر من لمس الكرسي، فسأله إن كان قد رأى أين الكرسي، فمازال العامة خائفين من ذلك الكرسي الذي لا يحل إلا وتحل معه اللعنات، فأنكر صادق معرفته مكان ذلك الكرسي، أقسم له كثيراً إنه لم يره بعد أن أزاحه من على عبيد المهشم، فصدقه الرجل موكلاً أن لكل منا نصيب من اسمه!

لكن القدر لا يترك الظالم ينعم كثيراً، فقد سعى كذباً بين الناس حتى وقع في شر أعماله، فقد تصادف وجوده في مكان بعيد في المدينة شهادته على جريمة قتل، تصادفت عيناه مع القاتل الذي عرفه رغم إشاحه وجهه الجهة المقابلة وركضه هرباً.

كان ابن أحد أثرياء المدينة، ظل صادق يركض حتى وصل إلى منزله ولم يطمئن إلا بعدما جلس على الكرسي، ترجا الحظ أن يقف بجانبه وألا يتعرف عليه القاتل، لكن الحظ إن وقف بجانب الشخص مرة فلن يقف بعدها، فوجد صادق طرقًا على الباب لا يطرقه إلا من له سلطة وقوة، فتأكد أنه ملك الموت جاءه في هيئة

إنسان، كسروا الباب ودخلوا عليه ضربوه وكبلوه، ثم بعد ذلك ساقوه إلى الثري، وضعوه تحت قدميه ذليلاً يقسم إنه لا يعلم شيئًا، أقسم كثيراً حتى ظن الجمع أنه صادقًا كاسمه، لكن القاتل أصر أنه رآه، وإنه هرب حينما رأى ما رأى، هنا ضغط الثري على صادق، رغَّبه ورهَّبه من مصير معتم إن قرر المضي في الكذب، فلم يجد مفرًا من ذلك المأزق إلا أن ينفذ ما طلبه منه مقابل المال.

عُرض عليه المال مقابل أن يذهب إلى المحكمة ويشهد، وكانوا سيحتاجونه في أشياء أخرى، هكذا دق صادق أول المسامير في نعشه.

ذهب في الصباح التالي ليشهد، فذهب إلى القاضي وقال له إنه يعرف القاتل، وإن القاتل هدده بالقتل إن ذهب وشهد عليه، وطلب الحماية من القاضي، ولما سأله القاضي عن القاتل استجمع شجاعته ودلهم عليه، ولم يمر اليوم حتى ألقت قوات الأمن القبض على ذلك القاتل، الذي واجه العديد من التهم أهمها القتل والتهديد بالقتل.

أتم صادق المطلوب وشهد على من أمره الثري الشهادة عليه، وكان ذلك الشخص منافسًا في تجارة الثري المشبوهة، فما كانت إلا تصفية حسابات، ونال صادق ما وعد به من مال، ولكن المهمة لم تنتهِ بعد، فقد كانت هناك عدة قضايا تحتاج إلى شاهد إثبات أو نفي، فما كان إلا صادق يقوم بتلك المهمة فتردد على المحكمة كثيراً، وصفى العديد من القضايا، ولكن الثمن كان غالياً.

فقد أثار شكوك أحد القضاة الذين حققوا في الأمر، وبعد تحقيق أصبح شكه في محله، جهَّز قضية لن يفلت منها الثري، وسيكون صادق الدليل الذي سيتكئ عليه القاضي في إثبات الاتهام، ولكن كعادتنا التي لم تنقطع تم تسريب تلك الأخبار إلى الثري، فكما كان يقول دائماً إن له في كل شق ثعبان عينًا، وجاءته النجاة من أحد

تلك الثعابين.

جُهز الأمر في المحكمة على أن يتم استدعاء صادق يوم الأحد، كان الأمر بالنسبة إلى القاضي بالغ السرية، أو هكذا ظن، فلم يدر بخَلَده أن يكون الثري قد علم، بل وأعد من الاحتياطات ما يكفي لتتزحزح قدماه إلى بر الأمان، ففي مساء السبت صعد أحد معاوني الثري إلى حيث يسكن صادق، تسلل دون أن يُلاحظه أحد، دخل الشقة وكان على علم مسبق بعادات صادق التي لم تتغير منذ زمن، كانت لديه خريطة لمكانه الحالي، سار عليها ووجده كما وصف له، نائم على الكرسي في غرفته المظلمة، أخرج مسدسه المزود بكاتم للصوت وتركه قتيلاً.

في الصباح جاءت قوة من الشرطة لتقبض على صادق، الاتهامات التي جُهزت لتُوجه إلى الثري كانت كفيلة بإعدامه، أو على أقل تقدير أن يمكث في السجن عمراً كاملاً كعمره، كانت القضية محكمة ليس بها ثغرات، لكن قوات الأمن حينما داهمت شقة صادق صُعقت مما رأت، وجدت صادقًا على سريره مقتولاً، فقد سبقهم إليه من سبقهم، نجا الثري ومات صادق، وأقفلت قضية الثري، وقيِّدت قضية قتل صادق ضد مجهول لعدم توافر الأدلة.

شـــــــــرف

أثار الوضع التشريحي لجثة صادق تعجب الطبيب الشرعي، فقد ثبت أنه حينما قُتل لم يكن على السرير نائمًا، بل كان على ما يبدو على كرسي، وكل الدلائل كانت تشير إلى أنه لم يقتل على السرير، وما أثار حَيرة المحققين عدم وجود كرسي في غرفة القتيل!

كان لدى القاتل مهمة أخرى أكثر سرية من قتل صادق، كلفه بها شرف، ومن الذي يقدر على رفض طلب لشرف ابن الثري القاتل، ذلك الشاب الطائش المائع، الذي لا يعرف عن شقاء الحياة سوى قرص البعوض! لكنه كان ذا شخصية جذّابة، يعشق والداه أشد العشق.

سمع شرف عن الكرسي الذي يملكه صادق ففتن به، ولما رآه تأكد افتتانه، فقد أمر منفذ العملية أن يحضر له الكرسي إلى حيث يختبئ، فهو بعدما قتل الرجل الذي قتل اختبأ بعيداً عن الأنظار، خشية ثأر أهل القتيل منه، ولكن ما دام حالٌ وراءه الكرسي!

جلس شرف على الكرسي، وغاب عن الواقع لدقائق كانت كفيله لتغير مسار حياته إلى الأبد، فقد رأى أنه في مدينة على أسوارها تماثيل عارية، سمع ما سمع، ورأى ما رأى فلم يصف شيئًا، ولكن تعابير وجهه كانت تصف، فقد احمر وجهه واندفع الدم إلى أعلى رأسه، وزادت ضربات القلب وجف الحلق، وتضخم شعوره بالإثارة، وما تبعه كان أعظم، وأثناء سيره العشوائي في تلك المدينة الغريبة وجد الكرسي أمامه، وكان ضوء كوكب نبتون مسلطًا عليه، وكأنه يشير إليه، ووجد بجانب الكرسي أخاديد على الأرض ملأتها الدماء الدافئة تقول "قربان

من دم شاب لتجنب لعنة السبت"، ولكن كسر موجة الإثارة والغموض تلك عاصفة تصم الآذان، تقتلع التماثيل، تعصف بالملعونين في المدينة، نظر إلى السماء فإذا بالكوكب يقترب، ركض ولكن ما الفائدة، وقع ورأى أنه يبتلع الكوكب، فاستيقظ متعرقاً.

كان شرف برج القوس ولوثت الظلال روحه بخطيئة الشهوة.

لم يعد شرف كما كان مختبئًا من أعين الناس يخشى أن يُستدل على طريقه، بل تحول إلى شخص آخر يقيم حفلات صاخبة ولا يبالي، خمور وفتيات ليل، رقصَ وسَعِد، سَكَر وثار، وما لبث أن تأتيه اللحظة المناسبة لسد شهوته إلا أقام الكثير من العلاقات الجنسية، لم يشبع أبدًا! ولم يسد شهوته شيء! فقد كان لا يمل من العلاقات ولا يتعب، أو كان يتعب ولكن تأثير الكرسي كان أشد من التعب، علاقاته المتشعبة كان لها بالغ الأثر على صحته، ولكنه لم يأخذ بتحذير أصدقائه المقربين، فكان يفعل ما يفعل دون وقاية أو اتقاء، مع مرور الأيام كان يشعر بشيء خاطئ، فقد أصابه تعب غريب، ولكنه ظن أنها اللعنة التي حُذر منها، وأنه ما أن يقدم القربان سيصبح بخير، هكذا ظن.

لم يدع موضعًا إلا وأقام احتفالاته، ولم يدع شرف مكان بشرف! فالآثار السيئة تلعن أصحابها، وحالة شرف تسوء أكثر وأكثر، تعمق أكثر في علاقته حتى إنه وقع في كارثة لم تتضح له، وتراءت لمن حوله، فقد شك أصدقاءه أنه قد أصيب بنقص المناعة (الإيدز) وقد كان. ولكن شرف أنكر عليهم قولهم مُحمِّل اللعنة سبب كل ذلك، وإنه سيكون بخير، فلم يخبرهم بشيء عن القربان، وآثر السِّرية.

وفي مساء السبت، كانت ليلته ليلة خاصة، لم يحتفل كعادته احتفالاً جماعياً، فقد أخبر الجميع أنه مريض ولن يحتفل اليوم، ودعا إحدى الشابات الكثيرات التردد

عليه، وجهز كل شيء لتكون ليلته ليلة فريدة، فكر، وخطط، ونفَّذ، فقتلها وظن أنه تجنب اللعنة، ولكنه قتلها ولم يُذِق الكرسي دمها، حيث قتلها في غرفة أخرى غير الموجود بها الكرسي، وظن أنه أحسن صنعاً!

مرت عدة أيام حتى شم الجيران رائحة عفنة تنبعث من تلك الشقة الغريبة، فطلبوا الشرطة، كسروا الباب فصعق الجمع مما رأوا، فقد وجدوا شرف منتفخاً متعفناً على الكرسي! وفي غرفة أخرى وجدوا شابة مقتولة في حالة يرثى لها، كان منظرًا مرعبًا مثيرًا للاشمئزاز، كان منظرًا يقشعر له البدن، تلك الجثة المتعفنة الجالسة على الكرسي، والمتمسكة به وكأنه أملها الوحيد في النجاة!

هكذا رأى الجميع الأمر، ولكن ثمة شخص بصر بما لم يبصروا به.

صـــــــــابر

فقد رأى في ذلك المشهد المفزع تجلٍ عظيم، رأى أنه مشهد مهيب، رأى أن في ذلك الكرسي السر العظيم، ففكر ودبر وحينً هدأت الأوضاع نفذ.

اختلفت الآراء حول الكرسي وما سيُفعل به، فمنهم من كان يرغب بحرقه ومنهم من خاف أن يقربه، وحينما قرروا الأخذ برأي الأغلبية وجدوا أنهم اتخذوا رأيهم بأن يبقى الكرسي كما هو ولا يقترب منه أحد بسوء حتى لا تمسهم منه لعنة، أو أن يصبهم عذاب أليم، ولم يدركوا أنهم بذلك القرار قد أطالوا أمد العذاب على البشرية، التي عانت وتعاني وستعاني بسبب ذلك الكرسي اللعين!

ولكن كان هناك من الجمع من صوَت على بقاء الكرسي مكانه لهدف آخر، فقد فتنه الكرسي وحلم بالجلوس عليه مدى عمره، وكان له ما تمنى، إذ وافق الجميع على بقاء الكرسي وانتظر هو حتى هدأت الأمور وتسلل إلى منزل شرف وفعل ما منى به نفسه، إذ أخذ الكرسي ووضعه حيث يسكن، وظن كغيره ممن سبقونه أنه مَلَك الدنيا!

ذلك مبلغه من العلم، فظن ما ظن، وكان الواقع أبعد مما قد ظن بعد السماء عن الأرض، نظر إلى الكرسي ودمعت عيناه، فهو لم يرَ جمالاً مثل تلك التحفة، وبمعنى أدق فهو لم يرَ أصلًا الكثير من الجمال في حياته بسبب حياته البائسة، فالفقر كان كالغشاء على عينيه يحجب عنه كل جمال، كان شخصًا هادئًا، راضٍ بما يأتي من الدنيا، كثير الكلام، لكن طيب القلب.

قرر الجلوس فإذا به في أرض لم يطأها قط، أرض ضبابية، شديدة البرودة،

والمنازل لم يكتمل بناءها وما تم بناءه طُلي بالأزرق القاتم، شعر بإحساس غريب، شعر وكأن لا فائدة من شيء، شعر وكأنه يريد النوم، ولكن هناك ما لفت انتباهه بين الضباب، فقد رأى على ضوء كوكب بلوتو السابح في السماء الكرسي، كان يقف على جرف عالٍ والكرسي تحته، ولكن هناك ما رآه وأصابه بالفزع، فقد رأى بجانب الكرسي الكثير من الجثث، ولما دقق النظر وجد أنهم يكتبون شيء بأجسادهم، كانت العبارة واضحة تقول "قربان من دم شاب لتجنب لعنة السبت"، هبَّت عاصفة قوية اقتلعت كل شيء إلا الكرسي، فنظر إلى السماء فرأى الكوكب يخترق الغلاف الجوي ويقترب، أسرع الكوكب ولم يهرب صابر، فلا فائدة من الهرب، فرأى أنه يبتلع الكوكب فاستيقظ ولم يعد لصابر نصيبًا من اسمه!

كان صابر برج الجدي ولوثت الظلال روحه بخطيئة اليأس.

كان الحال في مدينتنا صعب، كان لا شيء يدعو إلى السعادة، أو يدعوا إلى الأمل، ولكنه كان كحال الكثيرين صابراً على ما يحدث، لكنه حينما استيقظ في الصباح شعر بشعور مختلف، ضيق في الصدر، ارتخاء في العضلات، لم يعد قادراً على الاحتمال، وكان لديه شعور داخلي يلح عليه ألا فائدة من شيء، لن يتحسن الوضع الذي ظللت تمني نفسك به، لن تصبح كما كنت تحلم، فليس هناك ما يساعدك على تحقيقه، بل إن كل خطوة تخطوها إلى الأمام يأتي حظك العاثر ويُرجعك عدة خطوات للخلف، لعن الحياة وأهملها.

كان يعمل في حراسة العقارات وكان عمله يتطلب منه اهتمام، ولكنه وبعدما جلس على الكرسي قل اهتمامه بنفسه وبعمله، فأصبح أشعث أغبر وأهمل العقار، حتى إن السكان لاحظوا تراكم القُمامة وأن صابرًا لم يعد يجمعها، فقال بعضهم أنها حالة عابرة وعذره قائلًا لا بد أنه مريض أو شيء ما منعه من إتمام عمله، وأن

الوضع لن يستمر يوماً آخر، لكنهم جميعاً كانوا مخطئين، لأن ما تغير في صابر كان كبيراً.

ويجدر بنا أن نذكر أن صابر جلس على الكرسي يوم الأربعاء، ومنذ ذلك الحين انحدرت الأوضاع إلى القاع، حتى إن السكان لم يعودوا يرونه كالسابق، كان نادر الظهور، باب غرفته معظم الأوقات مغلق، لا يرد على أحد ولا يفعل شيء، لذلك قرر المسؤول عن العقار بمشاورة السكان أن يخبر صابر بقرارهم الذي سيغير كل شيء بعد ذلك.

ففي صباح السبت جاءه المسؤول عن العقار، أراد في البداية أن يفهم منه سر ذلك التغير المفاجئ، ولكن صابر أكد له أن لا شيء تغير، ولكنه رأى من الحقيقة ما رأى، ومما رآه تيقن أن لا فائدة من شيء، فأخبره الرجل بقرارهم إذ قال:

– يجب أن تغادر العمل نهاية الشهر، فقد استقدمنا حارسًا جديدًا.

تلقى صابر الخبر وكان ذلك آخر مسمار في نعشه، ففي مساء السبت تمكن اليأس منه ولم يعد صابراً على تلك الأوضاع، كان يريد أن يستريح، ولم يجد الراحة إلا في شيءٍ واحدٍ، إذ جلس على الكرسي في زاوية غرفته وقرر إنهاء كل شيء.

جـــاســـــــر

تساءلت نفسي الفضولية، ما سر الانجذاب إلى ذلك الكرسي؟! وما يغيره في النفوس؟ وما الذي يجعله يفتن أحدهم والآخر يقف بجانبه ولا يُفتن؟ ولكنني خلصت إلى إجابة واحدة، فمما حدث في القديم بين إبليس والحجر وكان السر في ترابطهما، يمكن الإجابة عن كل أسئلة نفسي الفضولية بالإجابة نفسها: ترابطهم.

إذ في صباح الأحد كان متجهاً كعادته إلى العمل، كان هناك انقطاع في المياه لذلك قرر أن يطرق الباب على صابر ليسأله عن السبب، وقف جاسر أمام الباب يطرقه، لكن صابر لم يجب، وكان الوضع لا يحتمل انتظار، فلما لم يجب صابر طرق جاسر على الباب بقوة أكبر فتبين له أن الباب مفتوحًا، فدفعه برفق وجال ببصره داخل الغرفة بحثاً عن صابر، كان بصوت منخفض ينادي عليه، فلم يجبه فقرر الدخول بحثاً عنه، ولكن ما حدث أصابه في مقتل، وغيّر الكثير داخله، ولم يكن لِما فَسَد إصلاحًا.

فقد رأى صابر على الكرسي وتحت يده بركة دماء، وقطرات الدماء تتساقط من معصمه، فصعقه ما رأى، صابر انتحر! ولكن ثمة ما حرك داخله إحساس بالرغبة الشديدة، إحساس ظنه التحرر، ولكنه كان أسرًا لن تُفك قيوده.

كان جاسر شخصًا منضبطًا، يحب نفسه إلى درجة المرض، هادئ ورزين، ويحب الوحدة، لكن انهارت جوانب شخصيته على حين فجأة.

تصارعت المشاعر المتضادة داخل جاسر، فتردد ولم يقدم على الفعل سريعاً، ولكنها معركة محسومة لصالح الكرسي لا محالة، وهذا ما أكده ما فعله بعد قليل

من التردد، فقد أمسك بجثة صابر وأزاحها من على الكرسي، ولكنه وضع معصمه على الدماء حتى لا يلفت الانتباه، ثم حمل الكرسي وصعد إلى بيته متلفتاً، ولكن ولحسن أو – هكذا ظن– أنه من حسن حظه أنه لم يُرى، وضعه في غرفته وجلس وانقلب داخله كل شيء.

فقد رأى أنه في مدينة ذات أسوار عالية وأبواب مسلسلة متتابعة، وأسوار المدينة سميكة لا يستطيع أحدهم اختراقها ولو جاء بصاروخ مدمر، ولكنه وبسهولة وجد الأبواب التي كانت مسلسلة تُفتح، تردد قليلاً ولكنه دخل لأن ذلك هو الطريق الوحيد الذي أمامه، لكنها مدينة مهجورة، لا يوجد فيها ضوء إلا مصباح كل مئة مترًا، وليته يضيئ باستمرار بل يرتعش فأضفى ذلك على المدينة شعورًا بالرعب غريب، همسات تأتيه من كل الاتجاهات، ورائحة الهواء مشبعة بالبول، فتعجب جاسر من تلك الرائحة، وتعجب أكثر مما رآه في الأعلى، فكان في سماء تلك المدينة ليس القمر الذي عهده طوال حياته ولكنه قمر لكوكب المشترى يدعى (غانيميد) لا يشبه القمر بل كان أضخم كثيرًا.

أرجع البصر إلى المدينة فتراءى له ما لم يكن يراه، فالكرسي الذي أخذه من صابر موجود في تلك المدينة، وكان هناك أحدهم يعتني به، هكذا ظن في البداية، اقترب منه بجسارة يأمره أن يبتعد عن كرسيه، فإذا بالرجل يلتفت إليه فأصاب جاسر الفزع، فالرجل كان ظل لا وجه له ولا ملامح، وكان يمسك في يده قطعة قماش غارقة في الدماء ويمسح بها الكرسي، ولكنه حدثه بأن قال: "قربان من دم شاب لتجنب لعنة السبت"، وبدأت العواصف فنظر إلى السماء فرأى أن القمر يقترب، فالتفت إلى الرجل يسأله عما يحدث لكنه لم يجده ولا هو ولا الكرسي! فارتعد خوفاً وركض هارباً من تلك المدينة الغريبة، ولكن أين المفر؟ فالقمر بات قاب قوسين أو أدنى منه، نظر فرأى أنه يبتلع القمر، فاستيقظ يرتعش، فتحسس نفسه فوجد أنه

ابتل! فذم نفسه أن بعد كل ذلك العمر يبول على نفسه، فقام وبدل ملابسه، وظن أن ما حدث حالة عابرة، ولكن ويل لمن باع كل شيء ليربح الكرسي، فسيثبت له الوقت أنه خسر نفسه، وإنه خاسر لا جاسر.

كان جاسر برج الدلو ولوثت الظلال روحه بخطيئة الخوف.

استيقظ في الصباح ليجد أن الشرطة في العَقَار تحقق في انتحار صابر، تفاجئ بذلك أثناء نزوله لشراء بعض الاحتياجات، فلما رآه المحقق أقبل عليه ليسأله بعض الأسئلة الروتينية كما فعل مع كل السكان، لكن جاسر أصابته حالة من الرعب والفزع، وبدأت أطرافه ترتعش، وتصبب عرقاً، وجف حلقه، وابيضت شفتاه، كان كمن يرى الموت، فتوجس المحقق شكاً، ووضع جاسر تحت المراقبة، وكان ذلك بداية النهاية.

– يا ذا الوجه المصفر والشفتين البيضاوين، مالك ترتعش؟!

فأقسم لهم إن لا شيء واستأذن وصعد إلى بيته، كان قد ابتل من الرعب، لم يعد يقوى على مواجهة شيء، ضربات قلبه كادت تكسر قفصه الصدري، ومنذ ذلك الحين وجاسر لا ينام ولا يأكل، فقط يتلفت حوله خوفاً، من أي شيء هو لا يعلمه، فتارة يسمع هسيسًا في أذنه فيلتفت ناحيته، وتارة يرى أحدهم يركض في إحدى الغرف، الارتعاش أصبح لا يفارقه، وكذلك البلل، لم يعد يطفئ الأنوار ليلاً ولا حتى صباحاً!

وضعه تحت المراقبة جعل من عملية تقديم القربان صعبة، ولكن هناك ما جعلها مستحيلة هو خوفه الدفين، فلم يقوى على فعل ذلك الفعل، وظل – كما هو– ذلك المرتعش ذو الوجه المصفر والشفتين البيضاوين.

الخوف، صفة مميتة لا حل لها، وإن ذاقها الإنسان لن يستطيع الإفلات منها أبداً، شعور بتجمد الأطراف والقلب، فقد كان جاسر يعيش وحده في بيته، وكان متأقلم على ذلك الوضع، لكن وبعد أن جلس على الكرسي وتغير كل شيء، أصبح يخاف الوحدة، حتى إنه أصبح يخاف التجمعات، أصبح يخاف المخلوقات جمعاء، ففي كل مخلوق جانب مرعب هكذا كان يرى، حتى الإنسان، كان رعبه الدفين يسيطر عليه، فقد فك الكرسي قيود الرعب داخله، وتركها تنهش قلبه، فلا عاش ولا هنئ.

أيام ولم ينم أو يأكل، أيام وهو يبول على نفسه، وبول على بول أصبحت رائحة شقته كرائحة تلك المدينة الغريبة التي كان فيها، كان يعلم أن اللعنة آتية إن لم يقدم القربان، حتى جاء السبت، فكرة اللعنة سيطرت عليه وزادت الأمر سوء، فخوفه تضاعف، وكذلك الأعراض المصاحبة للخوف، فقلة النوم والخوف الشديد زاد من إنتاج الأدرنالين بصورة خطرة في الجسم، وعند اندفاع الأدرنالين فُتح داخل القلب قنوات اندفع من خلالها الكالسيوم، تسبب ذلك في ألم شديد وتسبب الألم في انكماش عضلة القلب، قد كان الوضع خطيرًا، خوفه يزداد مع الألم، والألم يزداد مع الخوف! حتى وصل الأمر إلى أن عضلة القلب لم تعد تتمكن من الاسترخاء مما أدى إلى ما يعرف بـ (الرجفان البطيني)، وتبع الرجفان البطيني انخفاض شديد في ضغط الدم، وبالتالي تطور الأمر إلى حد وصوله إلى أزمة قلبية حادة أدت إلى الوفاة، هكذا جاء تقرير الطبيب الشرعي، وتشخيصه لجاسر الذي وجِد متعفناً على الكرسي بعد عدة أيام.

حـامـــــــد

لم يكن لجاسر أهل يرثونه، لذلك اتفق جيرانه على بيع مقتنيات شقته والتبرع بها للفقراء، لأن الموتة التي ماتها جاسر حركت داخلهم شعورًا بأن جاسر يحتاج عمل خيري ينجيه من العذاب، وكان هناك رجل غني يسكن في بيت قريب من العقار الذي يعيش فيه جاسر، فعرض أحد الجيران الكرسي على ذلك الغني الذي يدعى حامد، ذلك الرجل الموقَّر، الذي عرف عنه حب الخير، وكذلك الانعزال، كان رجلًا أرستقراطيًا خجولًا بعض الشيء يحترم ويحب الخصوصية. جاء، فرأى، ففُتن، فأُسر فاشتراه، فرحل.

وصل بالكرسي إلى بيته المهمل، فبعد موت زوجته تحول البيت من مكان مزهر مليء بالحياة إلى مكان قحل جاف شبه متصحر، دخل من الباب الخارجي ومشي في الطريق الممهدة الواصلة بين أرجاء البيت كافة، فقد بني البيت بطريقة المبنيان المتقابلان، فقد كان يعيش في المبنى الأيسر، أما الأيمن فقد كان مخصصًا للزوار الذين انقطعوا عن المجيء مع موت زوجته، ثمة مخزن خلف المبنى الأيمن المهجور وخلف الأيسر شجرة كبيرة، وأحاط بأرجاء البيت كافة سور قليل الارتفاع.

حمل الكرسي ودخل المبنى الأيسر وكان كعادة كامل ابنه يجلس أمام التلفاز يشاهد قناته المفضلة، فقد كان كامل يعاني من تأخر عقلي ورثه من عائلة أمه، ولكن حامد كان يحمد الله أن وهبه كامل، لم يتذمر على حاله ولم يسخط، وقف بجانبه ومازحه ووضع أمامه الحلوى المفضلة ثم حمل الكرسي وصعد إلى غرفته في الدور العلوى ووضعه، فكان حمل الكرسي والصعود به لرجل خمسينيّ مجهودًا يستحق عليه الراحة، فقرر الجلوس على الكرسي، جلس فسُحِر فوجد نفسه في

أرض غريبة.

شعر أنه غفى لكنه لما فتح عينه وجد نفسه في مدينة غريبة، أسوارها عادية ولكنها مليئة بالأشواك، سكانها ملعونون ذوي أشكال منفرة، حتى أشجارها وبركها ملعونة، نظر إلى السماء فإذا بعين ضخمة في سماء تلك المدينة ترمقه بحدة، وبجانبها قمر عملاق يدعى (كاليستو)، أرجع البصر إلى أرض المدينة ليجد أمامه الكرسي، تعجب ما الذي أتى بالكرسي إلى هذه الأرض؟! ولكنه تعجب أكثر حينما رأى أطيافًا عنده، كانت بالتسلسل أطياف أشخاص جلسوا على الكرسي قبله وتحولوا إلى ظلال، ولكنهم قبل التحول ماتوا على الكرسي بطرق شنيعة، فمنهم من جُن بسببه ومنهم من مات عليه مختنقاً، ومنهم من تسمم وكثير منهم بقي ميتًا على الكرسي إلى أن تعفن، أرعبه ذلك المصير، وبالأخص حينما رأى أنه كُتب على الكرسي بالدم "قربان من دم شاب لتجنب لعنة السبت"، ولكنه وبتتابع الشخصيات الملعونة على الكرسي أصابه الرعب وتراجع، أخذ يتراجع إلى أن تلامست يده بسور المدينة وأصابته أشواكها، فاستيقظ فزعاً.

تحسس يده فلم يجد بها أشواك كما رأى في منامه، ولكن ظلت صورة سابقيه محفورة في ذهنه، وأرعبته فكرة المصير المشابه، لذلك فكر في وجوب تقديم القربان للكرسي مهما كلفه الأمر، لذلك قام بنقل الكرسي إلى المبنى الأيمن المهجور ليكون بعيد عن أعين ابنه كامل، كان ذلك يوم الجمعة، وكان اليوم التالي هو اليوم اللعنة لذلك وبعد مشقة ذلك اليوم قرر أن ينام على الكرسي في مكانه الجديد في المبنى الأيمن المهجور، نام إلى الصباح لكنه كان نوم متقطعًا، فالطريقة التي مات بها السابقون على الكرسي كانت ترعبه، الرؤيا لا تتركه حتى ظن أنه لن ينام أبداً بعد ذلك! لكن التعب تغلب على الخوف ونام أخيراً.

استيقظ في صباح السبت وكعادته جهز الطعام لأبنه كامل، وفتح له التلفاز على قناته المفضلة، لكنه شعر بشيء تغير داخله، فلم يعد يطيق تلك الابتسامة البلهاء المُرتسمة على وجه ابنه، أصبح كارهًا لذلك الأمل، للحيوية، والتفاؤل فتراءت له الحقيقة، فهو يكره الشباب لتجمّع تلك الصفات فيهم، ولم يعد حامداً.

في مساء السبت، ارتدى معطفه الأسود الثقيل؛ ليُقيه شر تلك الليلة الشتوية الباردة، وعلى الشموع التي تضيء منزله بالكامل رأى أن الساعة تأخرت وأن وقت الرحيل قد حان، خرج إلى الفناء وركب سيارته المتهالكة التي لا تدل على ثراء صاحبها وصقل ماله، تفقد في سيارته ما أحضره خصيصاُ لتلك المهمة الحبل والمطرقة، جال في الشوارع بحثا عن شاب وحيد يسير في طريق مظلم، ظن في البداية أن المهمة صعبة وأنه لن يجد شابًا يسير وحيداً كما يتمنى، لكنه وعكس ما توقع فقد وجد أحدهم يسير وحيداً في طريق شحيح الإضاءة، فخلع معطفه الأسود الثقيل حتى لا يعيق تحركاته، وأصبح بقميصه الأبيض غير المهندم، أخذ الحبل وترجل من سيارته، وحينما أصبح على بعد خطوات من الشاب التفت الشاب خلفه إلى مصدر وقع الأقدام، ليتفاجأ برجل ينقض عليه ويحاول خنقه بحبل، صعق الشاب مما حدث! وتراءى له الموت، ولكن قوة الشباب هزمت هِرم الكبر، واستطاع أن يفلت منه لما وقعا على الأرض، لكنه حينما أفلت أصبح على الجهة اليمنى لحامد الذي وبرد فعل سريع ناتج عن اندفاع الأدرنالين ضربه بكوعه الأيمن في أنفه ضربة أفقدته الرؤيا والتوازن لدقائق كانت كفيلة ليلف حامد الحبل حول عنقه ويحكم السيطرة عليه وفي النهاية يقتله.

حمله في سيارته وهم قاصداً منزله، ركن سيارته في فناء منزله، ثم تذكر أمراً، فنزل من السيارة تاركاً جثة الشاب فيها وخرج إلى أقرب محل واشترى إسفنجة، كان قد نسي أن يرتدي معطفه، فلما أعطى الرجل ظهره شاهد البائع دمًا على كمه

الأيمن، فظن أنه مجرد جرحًا سطحيًا أصابه ولم تقده التخيلات إلى فرضيات أبعد من ذلك!

عاد إلى بيته وعلى ضوء المصباح الشحيح عند باب البيت الخارجي حمل الجثة وصعد بها المبنى الأيمن، ثم إلى الغرفة التي يوجد بها الكرسي، وكان قد أعد سلفاً إناءً كبيرًا، وونش تعليق الذبائح، وضع الشاب بجانب الونش، ثم قام بغرس خطاف الونش في عرقوب قدم الشاب ثم رفعه إلى أن أصبح على ارتفاع مناسب، ثم وبسكين حاد قام بإحداث قطع في الرقبة وقطع آخر في يد الشاب، وترك الدم يُصفى في الإناء.

ولما فرغ الدم من الشاب، أحضر الإسفنجة وغمرها في الدماء ومسح بها على الكرسي، كان الكرسي بسحر عجيب يتشرب الدم، فكرر العملية مراراً إلى أن فرغ الدم من الإناء، بعدها خرج من الباب الخلفي الذي كان قديماً مخصص للخدم في المبنى الأيمن حاملاً جثة الشاب، ودفنه بجانب الشجرة الكبيرة خلف المبنى الأيسر.

أثار الغموض الذي تعاظم في حياة حامد ريبة من حوله، جيران وأصحاب، فلا أحد منهم يستطيع إنكار كرهه المفاجئ للشباب، لكنهم ظنوا أن السبب في ذلك الكره أن ابنه متأخرًا ذهنياً، لكن ظنهم كان خاطئ، كان حامد بدوره لا يستطيع إخفاء مشاعر الامتعاض والكره للشباب، فكانت عينه فضَّاحة، وكذلك أفعاله.

أصبح له عادة جديدة وهي النوم يومياً على الكرسي في المبنى الأيمن تاركاً كامل وحده في المبنى الأيسر، كان يجلس معظم الوقت على الكرسي، كان مرتاحاً، كان وكأنه في جنته الخاصة، كان يعيش حلماً ولكنه سيصحو على كابوس مزعج.

ففي مساء السبت الثاني، كان قد حدد ضحيته، شاب يعمل على إيصال الطلبات للمنازل، اتصل بالمطعم الذي يعمل فيه الشاب وطلب قائمة من الطعام، وبعد أن دلهم على العنوان طلب منهم أن يخبروا الشاب الذي سيأتي أن يدخل البيت ويطرق باب المبنى الأيمن، وبالفعل حدث ما خطط له تماماً، وحينما دخل سعيد إلى البيت سار كما طلب منه مديره إلى المبنى الأيمن وطرق الباب العتيق، فتح له حامد فابتسم سعيد كنوع من أساسيات عمله، فاندفع الدم إلى رأس حامد، وكاد يفقد السيطرة على نفسه، ولكن ليس هذا سبب الجنون، فحينما قرأ اسمه على صدره وجد أنه يدعى (سعيد)، وكان ذلك المسمار الأخير في نعش سعيد، فهو شاب، ومبتسم، واسمه سعيد! لذلك وجب قتله!

اللعنة على كل شاب سعيد، كذلك حدث نفسه حامد، طلب حامد من سعيد أن يساعده في حمل الطعام إلى الداخل حيث سيأكل، وافق سعيد بتردد بدا واضحاً، كان هناك شعور داخلي بعدم الارتياح، فذلك البيت الغريب المظلم، إلا من مصباح شحيح الضوء على الباب الخارجي، وذلك المبنى المهجور- استنتج ذلك من التراب المتراكم وبيوت العنكبوت على الجدران- وما أصابه بالرعب أن إضاءة المكان بالكامل بالشموع ! كما أن هناك رائحة غريبة لم يتبينها جيداً، ولكنها تشبه رائحة الدم، ولكنه نفض عن تفكيره تلك الظنون، وظن خيراً، وقد خاب ظنه، فمن خلفه ضُرب على رأسه بمطرقة كانت كفيلة بوقوعه صريعاً في الحال.

حمله حامد إلى غرفة تقديم القرابين، وكما فعل في السابق فعل تلك المرة، وبعدما فرغ من القربان حمل سعيدًا على كتفه ثم خرج من الباب الخلفي للمبنى الأيمن وسار إلى مكان دفن الجثة الأولى وأتم دفنه. ولكن في العقار المقابل كان هناك أحد السكان يقف في شرفته فتخيل أنه رأى شخصًا يسير ويحمل على كتفه شخصًا أخر، ولكن ولضآلة الضوء الواصل إلى هناك ظن أنها خيالات، بعد ذلك

أخذ حامد الدراجة النارية الخاصة بسعيد وخبأها في المخزن الواقع خلف المبنى الأيمن، دفن حامد الشاب وصعد إلى حيث الكرسي ونام مرتاحاً.

بدأت تنتشر صور للشاب الأول تحت عنوان متغيب عن المنزل، وبدأت الجيران تشك أكثر وأكثر في سلوك حامد المتغير، وفي صباح اليوم التالي وجد حامد طرقاً على الباب الخارجي، فلما نظر من ثقب أحد النوافذ رأى أنه شاب يرتدي ملابس سعيد نفسها، فدب الرعب داخله وخاف النزول، ولكنه فكر، ودبر، وقرر النزول لإزاحة الشك عنه.

فتح للشاب الذي بدأ حديثه بأن قال:

- أستاذ حامد؟

فرد عليه بالإيجاب، ولكن حينما قال له الشاب أنه أتي من المطعم وقبل أن ينطق بكلمة أخرى قال حامد بحدة:

- وهل تذكرون طلبي الآن؟!

فتعجب الشاب الذي يدعى خالد تعجبًا شديدًا، لأنه لم يكن يتخيل أن تكون تلك هي الإجابة، ولكنه وأثناء الحديث مع حامد لمح آثار لإطار دراجة نارية داخل بيت حامد! فدب الشك في قلبه، ولكن حامد ينكر مجيئ سعيد إليه لذلك اعتذر عن الإزعاج ورحل متيقناً أن حامد يخفي شيئًا.

حينما عاد إلى المطعم قال للمدير أن سعيد لم يذهب، ثم قدم طلب إجازة ليسافر مع عائلته، ووافق المدير على طلب الإجازة وكرث خالد الإجازة ليراقب حامد بحثاً عن صديقه، الذي أجزم الكثير من أصحاب المحال المحيطة ببيت حامد أنهم رأوا سعيدًا متجهاً في طريق البيت، وآثار الإطار داخل البيت كل تلك الأمور

رجحت كفَّة الشك داخله، ولكنه كان بحاجة إلى دليل ملموس لتتكشف الحقيقة الغامضة أمامه، لأنه لا يعرف لِما أقدم حامد على إخفاء صديقه، وعن السبب الذي جعله يكذب، لكن حينما سيعرف الحقيقة سيتمنى أن يعود جاهلاً لمرارتها.

انتشرت صور الشاب الأول وسعيد في الشوارع، تحدث الكثير من الناس عن قاتل يستهدف الشباب، خاف كل شاب على نفسه واتقى الشوارع المظلمة واتقى أيضاً الوحدة، سار الكثير منهم في مجموعات، لم يعد هناك من يأمن على نفسه أو على ابنه الشاب، وكان خالد في المقابل يراقب حامد وبيته الغريب الذي تيقن أنه يخفي الكثير من الأسرار، كان يراقب حامد وحامد في عالم آخر لا يلحظ الشاب الذي يراقبه هو وبيته، كان لا يعلم بأمر كامل ابن حامد، وكذلك كان يلاحظ أن حامد لا يفتح نوافذ البيت وكذلك حينما يأتي المساء لا يضيئ مصابيح داخل البيت، كان وللوهلة الأولى مكانًا مرعبًا مهجورًا، ولكن من يتفقده من الداخل سيعرف أن الرعب من مظهره الخارجي لا يضاهي الفزع في الداخل.

قل اهتمام حامد بكامل تدريجياً، لكن ظل له في قلبه محبة خالصة، محبة لا تشوبها مصالح أو منافع، محبة أبقت على إنسانية حامد ولو لوقت قصير، فقد مر الأسبوع وجاء السبت الثالث، وكلما مر الوقت كلما تيقن خالد أن حامد يخفي الكثير، لذلك خطط ليقتحم البيت، ولكنه كان يريد الوقت المناسب لينفذ ما يخطط له.

كعادته حامد في الصباح وضع الطعام أمام كامل ونزل ذاهباً إلى المبنى الأيمن حيث الكرسي، جلس على الكرسي حتى أتى المساء، نظر في ساعته فرأى أن الوقت قد حان، هنا لاحظ خالد ترك حامد للمنزل في يوم السبت مساء وخروجه، لذلك درس المداخل والمخارج للبيت وخطط لأن يقتحمه السبت المقبل.

في الشارع كان هناك شيء غريب، فحامد طاف الشوارع بحثاً ولكن لا يوجد

شاب وحيد، كانوا يسيرون في مجموعات، كان يخشى اللعنة، فكما عهدنا الكرسي فالاستلقاء عليه يحتاج دماء الشباب كقربان! وكلما مر الوقت بدأ يفقد سيطرته على نفسه، فقد كان يراقب الشباب ويرى ضحكهم ونشاطهم وتفاؤلهم، كاد أن يفقد السيطرة وينزل من سيارته ويقتلهم جميعاً على مرأى ومسمع من الجميع، لكنه تدارك، وآثر مواصلة البحث، ولكنه بعد عدة ساعات فقد الأمل، وما قضى على أمله أكثر أنه حينما نظر في ساعته وجد أن الوقت قد سرقه، فلم يبق إلا خمس عشرة دقيقة فقط وينتهي اليوم، ويواجه مصيره الشنيع، لذلك قرر العودة إلى بيته.

عاد يجرجر خيبة الأمل، دخل إلى المبنى الأيسر ليجد كامل كما هو، يشاهد قناته المفضلة ويأكل الحلوى التي يعشقها، وقف خلفه يشاهد ما يشاهده، كان كامل في حالة من السعادة الغريبة، سعادة شخص فقد عقله ويرى العالم بغلافه الكاذب، يرى العالم الجميل الخالي من الألم، يرى عالم يستحق الحياة، وهنا ضحك كامل على مشهد في ذلك الفيلم وانفجر الوضع، فقد هوى حامد على رأس كامل بالمطرقة مُسكتاً تلك الضحكة الغبية، وسقط كامل على الفور صريعاً، ووقف حامد أمام ذلك الحادث ضحية شعوران متضادان، فالشعور الأول كان انفطار قلبه على ابنه الذي مات للتو، ابنه الذي كان آخر من بقي له في هذه الدنيا، واعتراه الندم الشديد، وكاد أن يفقد السيطرة ويقتل نفسه جزاءً لما فعل، أما الشعور الثاني فقد كان ناجم عن الكرسي والذي يأمره بألا يبكي أحد، فطالما الكرسي موجودًا فلن يحتاج إلى شيء أخر، فإنساق وراء الشعور الوحشي، وأمرته نفسه الأمارة بالسوء ببدء تقديم القربان لأن الوقت يمضي، وما كان القربان سوى دم ابنه كامل بالكامل!

غرس الخطاف في قدم كامل، وكأنه غرسه في قلبه، رفع كامل وأحضر السكين وأمسك رأسه وعيناه غارقة في الدمع، قطع رأسه وبكى بشدة، كان ولأول مره يفقد الكرسي السيطرة عليه، بدأ الزمن يعود به إلى ما قبل الكرسي، بدأ يشعر بأن

كل ما يفعله هو الخطيئة ليس إلا، كانت هذه هي اللحظات الحاسمة في حياته، فإما أن يتنحى عن ذلك الكرسي وكفى ما خسر، أو أن يستمر، ولكننا كما عهدناهم فالجالس على الكرسي لا يبرحه إلا ميت!

بعدما أقدم على ذلك الفعل وأتم تقديم القربان، أقدم على فعل لا يقل شناعة عن قتل ابنه، فحينما فرغ الدم منه لم يدفنه بجانب من سبقوه خلف المبنى الأيسر، بل أحضر إبرة وخيط وبدأ يخيط ما قُطع، الرقبة واليدان، ولكنه لم يكتفِ بذلك بل شد خديه وخيطهما بطريقة تجعله مبتسم كعادته، وحمله على ضوء المصباح الشحيح إلى المبنى الأيسر، ووضعه على المنضدة أمام التلفاز كما كان يُفضل، ووضع أمامه طبق الحلوى المفضلة ثم عاد راجعاً إلى المبنى الأيمن وجلس على الكرسي ونام.

ولكنه كان نوماً يتخلله أحلام بابنه كامل الذي مات، وحينما استيقظ في الصباح كان قد تغير الكثير بداخله، كان فيما قبل على شفى الجنون ولكنه الآن قد وقع فيه، فقد كان يحدّث ابنه الميت على المنضدة أمامه، ففي الصباح كان حينما يراه يقول:

- صباح الخير يا كامل.

وحينما لا يأتيه الرد يظن أن كامل حزينًا مما حدث فيكمل:

- لماذا لا تحدثني؟ أنا لم أكن أقصد ما حدث.

ويبرر له ما فعل، كانت حالته تسوء أكثر يومياً، وكان يومياً يقوم بما فعل في اليوم التالي بأن يعد الطعام ويذهب إلى كامل فيجد طعام اليوم السابق كما هو فيتساءل:

- لماذا لم تأكل؟! ألن تصفوا نفسك مني؟! ألن ترد كعادتك الجديدة ؟!

وهكذا إلى أن يذهب إلى المبنى الأيمن ويجلس على الكرسي الذي ضحى من

أجله بكل شيء، حتى بنفسه.

لم يغادر الفيلا إلا يوم السبت الذي جاء سريعاً، وكان خالد في المقابل قد أعد خطته بأن يدخل البيت ويفتشه في غياب حامد المعتاد مساء كل سبت، أعد ما سيحتاج في تلك المهمة، هاتفه المحمول أتم شحنه ليصور كل ما في الداخل فيديو، كشاف لشُحم الإضاءة في الداخل، حبل للضرورة، وسكين لحماية نفسه من هجوم مفاجئ، كان السور الأيسر مظلم وخالٍ من المارة بعض الشيء، لذلك قرر القفز من عليه ليدخل البيت، غادر حامد كالمعتاد ودخل خالد البيت، ووراء المبنى الأيسر التقط أنفه رائحة عفنه لم يشم مثلها من قبل، تتبع الرائحة التي قادته قريباً من الشجرة كثيفة الأوراق خلف المبنى الأيسر، أخرج هاتفه من جيبه وبدأ بالتصوير، وعلى ضوء القمر الرمادي في تلك الليلة الباردة تعثر بشيء، صوَّب ضوء الكشاف إلى تلك البقعة وبدأ بالحفر، ولكنه بعد قليل من الحفر صُعق مما وجد، فقد رأى بقايا بشرية! تصبب عرقاً، وارتعشت أطرافه، وكاد أن يفر هرباً من ذلك البيت البشع، ولكنه آثر المواصلة بحثاً عن صديقه المختفي.

في المقابل كان حامد يسير بسيارته المتهالكة بحثاً عن شاب، لكنه وللحظة تذكر أنه نسي المطرقة لذلك قرر العودة ليحضرها لاعناً ذاكرته الضعيفة.

وجد خالد نفسه في الفناء بين المبنيين فقرر الدخول أولاً إلى المبنى الأيسر حيث هناك ضوء شحيح ينبعث منه، دخل وذهل من الحالة الرثة التي عليها الوضع في الداخل، حدث نفسه أن هذا المبنى لم ينظف منذ عقد تقريباً، ولكن كان هناك شيء مرعب في ذلك المبنى، فالطرقات مضاءة بشمع سميك أضفى على المكان غموضًا خاصًا، ورائحة احتراق الشمع مختلطة برائحة الرطوبة وكان هناك رائحة عفنة، ظن أنها علقت في أنفه من الخارج حيث المقبرة الجماعية، لكنه سمع صوت على ما

يبدو تلفاز، فتتبع الصوت وكلما اقترب من مصدر الصوت زادت الرائحة عفونة، كان يصور كل لحظاته في ذلك البيت، فلما وصل إلى الغرفة التي بها التلفاز وجد أن هناك شخص يجلس على المنضدة المقابلة يشاهد فيلماً، فتعجب أن حامد يعيش معه أحد في ذلك البيت، فهو وعلى مدار فترة مراقبته له لم يرَ أحدًا غير حامد، اقترب يصور ولكن الرائحة أصبحت لا تحتمل، فتعجب من كيفية جلوس ذلك الرجل في تلك الرائحة، ولكنه كلما اقترب من الرجل شك في أمره، فهو جامداً كالمنضدة الجالس عليها، لا يتحرك وكأنه تمثال، حتى إنه لا يلحظ خالد الذي أصبح على بعد خطوات منه، وخالد أصبح لا يحتمل تلك الرائحة العفنة، وكأن هناك من يتحلل في تلك الغرفة، وعلى ضوء التلفاز والظلال ناتجة من تراقص لهب الشمع اقترب منه خالد ومد رأسه يتفحص الرجل، ولكنه فزع وكاد قلبه يتوقف، فقد كان ذلك الرجل ميتاً ومنتفخاً، وبدأت العفونة تأكله، وكان لونه مائل إلى الأزرق وعلى وجهه ابتسامة شنيعة لم تترك خيال خالد. تغلغل الرعب داخله وبدأت تتراءى له أشياء غير موجودة، بدأ تراقص لهب الشمع يرعبه ويخيل إليه أن هناك أحد، فخرج مذعوراً من ذلك البناء وتوجه إلى البناء المقابل.

كان المبنى الأيمن حالته رثة أكثر من المبنى الأيسر، ولكن كان هناك غرفة يبدو أن حامد يستخدمها، كان على ما يبدو أن هناك مذبحة قد حدثت هنا، فالدماء في كل مكان، كما أن هناك إناء كبير به الكثير من الدماء المتجلطة، كان وكأنه في مذبح للماشية، صوَّر كل ما يرى، بالإضافة إلى ونش تعليق الذبائح والإسفنجة المليئة بالدم، صوَّر كل شيء لكنه تجاهل أهم شيء..الكرسي!

نزل مسرعاً، كان يخطط للذهاب إلى الشرطة ليبلغهم عن تلك الفظائع، وكان سيدعم ادعائه أمامهم بالصور التي التقطها، لكنه حينما أصبح في الفناء لمح مبنى آخر خلف المبنى الأيمن، كان مبنى من طابق واحد وكان بابه مواربًا، فقرر أن

يتفقده ومن ثم يخرج قاصداً قسم الشرطة.

وأثناء سيره متجهاً إلى المخزن عاد حامد ولمح ضوء كشاف في فناء بيته، دب الرعب في قلبه خشية انكشاف أمره، لذلك ترك سيارته بعيداً وراقب المتسلل، الذي دخل المخزن، فاختبأ حامد خلف الأشجار.

دخل خالد ذلك المخزن المهجور، وعلى ضوء كشافه نزل الدرج الخشبي المتهالك، صوب ضوء الكشاف يميناً ويساراً متفقداً ذلك المكان، فوقعت عيناه على ما صدمه، فقد كان يتوقع ذلك ولكن أن تتأكد ظنونه كانت تلك هي الصدمة الحقيقة، فبين تلك الفوضى وجد دراجة سعيد النارية، وتأكدت ظنونه، فسعيد جاء ولم يخرج، فخرج يركض بعدما علم بمصير سعيد، خرج من ذلك المخزن فزِعاً، فالرعب ملأ قلبه وبدأت الوساوس تفتك به، كان يريد الهرب من ذلك البَيت اللعين المليء بالموتى والبقايا البشرية والرائحة العفنة، وبرغم أنها ليلة باردة ولكنه كان يتصبب عرقاً، كان يشم رائحة الموت في كل مكان في ذلك البيت، كان يريد الخروج ليُبلغ الشرطة بكل شيء وكان سيفعل لولا ما حدث.

فحامد الذي كان يختبئ وراء الأشجار وجد ذلك الشاب يخرج من المخزن راكضاً، فلم يكن هناك وقت، فأمسك حجرًا كبيرًا وقذف به عصفورين، فأصاب رأس الشاب الراكض، وبذلك قد حال دون انكشاف أمره ووجد الشاب الذي سيقدم دمه قرباناً للكرسي، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد كان في العقار المقابل لبيت حامد يقف رجل في شرفته، قطع هدوء الليل صوت تأوه وسقوط، فتبع مصدر الصوت فكان شاهداً على جرم شنيع، فقد رأى جاره حامد ينقض على شخص وينهال بالحجر عليه ضرباً، صُعق مما رأى، ثم حمل حامد ذلك الشخص ودخل البيت، هكذا أخبر الجيران، الذين أخبروا الشرطة والكثير منهم

ركض مسرعاً يحاصر بيت حامد حتى لا يتمكن من الهرب، وفي دقائق قليلة كان هناك جمع من العامة أمام بيت حامد يتجمهرون، سكان العقار وأصحاب المحال والسائرون المتعاطفون مع من ماتوا، جميعهم وقفوا أمام البيت ثائرون على ذلك القاتل، مطالبين إياه بتسليم نفسه للعدالة.

حمل حامد الشاب القتيل إلى المبنى الأيمن حيث الكرسي، لم يلحظ أن أحد الجيران رأى ما رأى، غرس الخطاف في عرقوبه ورفعه وبعد ذلك قطع رقبته ويداه كمن سبقه، وترك دمه يُصفى في الإناء وجلس على الكرسي إلى أن يفرغ دمه، ولكنه فوجئ بضوضاء من الخارج، فنظر من ثقب في خشب نافذته فرأى تجمع كبير من الناس غاضبون، يطالبونه بتسليم نفسه، فارتعد خوفاً من سوء المصير، كما أنه رآهم يُقسّمون أنفسهم ويستعدون لاقتحام البيت والقبض عليه بأنفسهم، كانوا ثائرون وكانت ثورتهم على حق، فخشيهم حامد وترك كل شيء وهرب من الباب الخلفي في المبنى الأيمن ومن ثم قفز من على السور ولم يره أحد.

قسم المتجمهرون أنفسهم إلى قسمين، وقرروا اقتحام البيت لحين وصول الشرطة، قسم دخل المبنى الأيمن وقسم الأيسر، وجدوا في الداخل جثه ابنه كامل المتعفنة أمام التلفاز، كما وجدوا خالد معلق والدم يقطر منه في إناء كبير، وكانت رائحة الموت تنبعث من كل أركان ذلك المكان الشنيع، ورائحة العفونة لم يتحملها الكثيرون منهم وحدثت بينهم حالات تقيؤ ووصل الأمر حد الإغماء من هول ما رأوا وشموا، لم يجدوا حامد، وأتت الشرطة بعد قليل من الوقت وأخلت المكان، وبالتفتيش كشفوا عن المقبرة الجماعية الواقعة خلف المبنى الأيسر، أخرجوا منها رفات جثتين، وبعد ذلك قاموا بمصادرة الأثاث والتحف وعرضها في مزاد خيري، وكان من ضمن المعروضات الكرسي الذي اشتراه أحد المهتمين بالتحف النادرة، والذي رأى فيه جمال ساحر!

الخـــاتمة

أغلقت الشرطة البيت وحُظر على العامة الاقتراب، وأصبح لخالد نصيبٌ من اسمه ذِكراً، لأن لولاه لما كُشف ذلك القاتل المتسلسل.

الشرطة وبعد بحث طويل لم تجد حامد، لذلك أقفلت القضية، مما أصاب سكان العقار بالرعب من احتمالية عودة حامد للانتقام.

وإلى وقتنا هذا القاتل حرًا طليقًا، وما يزال الكرسي موجودًا، وما تزال اللعنة تدور، وما تزال دماء الشباب تسفك في سبيله.. في سبيل الكرسي!

تمت ١٧/ ١٢/ ٢٠١٨

الساعة ١٠:٣٠م